JOURNAL OF THE
ARAB AMERICAN UNIVERSITY
مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث

بنية الإماتة الإسرائيلية في قطاع غزّة: تحليل ممارسات هندسة الموت وإدارة الجثامين

إيمان بديوي
باحثة مستقلة، ماجستير علم الاجتماع، الأردن
الباحث المراسل:eman.bdaiwi@gmail.com

Received: 18/6/2025. Revised: 25/6/2025. Accepted: 22/9/2025. Published: 30/06/2026
DIO: 10.35517/AAUP-2026.V12.2.4

الملخّص

تنطلق الورقة من مقولة بحثية تفيد بأن إسرائيل تستهدف المجتمع الغزّي بالموت من خلال سياسات تُمارَس ضدّ الجسد الفلسطيني الحيّ والميت ضمن إطار "بُنية الإماتة". وتهدف إلى تحليل التوظيف السياسي الاستعماري لذلك عبر تحليل محتوى المواد المرئية والشهادات الشخصية التي توثّق ممارسات نزع الأنسنة، وتفتيت الجسد، والتمثيل بالجثامين، وسرقتها، وتبخرها، والتركيم فوقها، والدفن العشوائي، والمقابر الجماعية وغيرها.

تتألف الورقة من مدخل يُعرّف مفهوم "بُنية الإماتة" في سيادة الاستعمار على الجسد، وثلاثة محاور رئيسة ومترابطة، يناقش أولها مرحلة ما قبل القتل، حيث تُهيّئ إسرائيل الظروف للإماتة عبر سياسات نزع الصفة الإنسانية وتدمير مقومات الحياة. ثمّ يتناول الثاني مرحلة القتل بتحليل ممارسات استهداف الجسد من خلال استراتيجية إدارة هيئة الموت بالمحو والتشويه؛ لإعادة إنتاج الهيمنة وتعطيل "المعنى الوظيفي" للموت الاستشهادي. أما المحور الثالث، فيتناول مرحلة ما بعد القتل، مسلطًا الضوء على تحكّم إسرائيل بالجسد بعد الموت من خلال السيطرة على بنية الفقدان وطقوس الحداد والمجالات الزمانية والمكانية المرتبطة بالموت ومساره، ما يحوّل الموت والجثامين إلى ساحة صراع مستمر.

الكلمات المفتاحية: بنية الإماتة، الإبادة، سياسات الموت، الجسد الفلسطيني، الجثامين، طوفان الأقصى.

1. المقدّمة

تثير حرب الإبادة الجارية على قطاع غزّة، بالمقاطع المرئية والشهادات الشفوية التي تصوّر سياسات الاحتلال الإسرائيلي في القتل، التساؤل حول الاستهدافات الإسرائيلية للمجتمع الغزّي بالموت الذي فرضت إسرائيل سلطتها الاستعمارية عليه، بوصفه أفقا سياديا، حوّلت ـ من خلاله ـ الجسد الفلسطيني الميت إلى كيان سياسي مُدار، فصاغت شكلاً إضافيًا لعلاقتها السيادية به عبر سياساتها في إدارة الجثامين واستهداف فعل الموت ذاته، فَطالت بنيته وهيئته وفَرضت سلطتها على زمانه ومكانه والتفاعلات الاجتماعية والثقافية معه، وذلك وفقا لما تعكسه ممارسات الاحتلال في القطاع من عملها وفق (بنية إماتة) تشمل استراتيجيات استعمارية؛ عسكرية وسياسية، تُمارَس ضدّ الجسد الفلسطيني الذي يمثل مساحة الصراع، فتفرض إسرائيل سيادتها الاستعمارية عليه؛ مادة وروحاً وعقلاً، وعلى كينونته على الأرض الفلسطينية (ظاهر-ناشف، 2019: 77)، وفقا لعدة آليات مركبة. وبهذا، يسعى البحث إلى طرح كيفية تحول الموت ذاته والجثمان بعده، إلى أدوات استعمارية للسيطرة على البنى الاجتماعية الفلسطينية، ضمن ما يسميه البحث بنية الإماتة، بوصفها الإطار السوسيولوجي لفهم كيفية اشتغال السيادة الاستعمارية على الجسد الفلسطيني؛ الحي والميت. وعليه ينطلق هذا البحث من السؤال المركزي: كيف يوظّف الاحتلال الجسد الفلسطيني، حيًّا وميتًا، ضمن بنية الإماتة، بوصفها أدوات استعمارية لإحكام السيادة على الفلسطينيين؟ بافتراض أن الجسد الفلسطيني في سياق حرب الإبادة في غزّة، لم يعد موقعًا للقتل فقط، وإنما تتخذه إسرائيل أداةً لإنتاج سلطة استعمارية قبلية وبعدية، تتجسد في بنية الإماتة. فضلًا عن أسئلة فرعية بلورها تحليل أنماط الممارسات الإسرائيلية التي تستهدف الجسد قبل القتل، وأثناءه، وبعده، كالسؤال عن علاقة تلك الممارسات بهيكلة الحضور الفلسطيني

في الفضاء العام والرمزي؟ والكيفية التي تؤثر بها سياسات إدارة الجثامين في إعادة تشكيل الحداد والفقدان في المجتمع الفلسطيني؟

وعليه يهدف البحث إلى تحليل ممارسات عديدة، وتبين سياساتها المختلفة، من نحو: (نزع الصفة الإنسانية، والمراقبة المحاصرة، والموت على هيئة أشلاء، وتشويه الأجساد المُماتة والتمثيل بها، واحتجازها، وسرقتها، ومحو هويتها، والدفن العشوائي، والمقابر الجماعية، وغيرها)، عبر قراءتها ضمن إطار بنية الإماتة، بالاعتماد على نظريات مثل: السياسات النيكروبوليتيكية (Mbembe, 2003)، وحالة الاستثناء (أغامبين، 2015) والحياة العارية (Agamben, 1998)؛ لفهم آليات الإماتة في تلك الانتهاكات التي تُمارس ضدّ الجسد الفلسطيني"الذي تُنقش على جلده وزمنه وحيّزه الممارسات الاستعمارية الإسرائيلية" (ظاهر-الناشف، 2016: 19). وذلك اعتمادًا على المنهج النوعي، واستخدام أسلوب تحليل المضمون أداةً لتحليل مجموعة مواد مختارة من عدد كبير من مواد تابعها الباحث، شملت مقاطع مرئية وشهادات شخصية من القطاع، تم اختيارها وفقا لمعايير توثيقها للانتهاكات الإسرائيلية على الأجساد والجثامين، بأن تكون ميدانية، ومنشورة وموثقة في مصادر صحفية وحقوقية.

وانطلاقًا من سياق تلك الممارسات التي تكشف عن تصاعد العنف الاستعماري عبر سياسات تُنتجها إسرائيل وتعيد إنتاجها في القطاع، ينقل هذا البحث التحليل من الحاكمية الاستعمارية على الحياة إلى تجليات هذه السيادة على الموت، كما تتجلى في ممارسات حرب إبادة الجسد الغزّي. وبالرغم من التوثيق الواسع لتلك الانتهاكات ونقاشها قانونيًا، فإنّ بنية العنف الموجّه للجسد الميت خاصةً لم تحظ ـ بصفتها فكرة ـ بمركزية في التحليل النظري والمنهجي الكافي، لا سيما من زاوية سياسات الإماتة الاستعمارية. إلى جانب الجديد الذي تطرحه ممارسات الاحتلال منذ السابع من أكتوبر 2023؛ من هندسة كاملة لإدارة الموت الفلسطيني، وبما لا يقتصر على القتل كفعل مباشر، بل تشمل شروطه السابقة وأشكاله اللاحقة؛ من نزع الإنسانية إلى تحويل الجثامين إلى موقع للسيادة الرمزية والمادية.

فالرغم من أهمية مساهمة Zouheir Maalej و(2024) Aseel Zibin في تحليل البنية الخطابية الإسرائيلية للتجريد الإنساني وتقاطعها مع هذا البحث من حيث التركيز على العلاقة بينها وبين شرعنة العنف، فإنّ هذا البحث يتجاوز الدلالة والرمزية لخطاب نزع الأنسنة إلى تحليل تجلياته على الجسد الفلسطيني نفسه، ثم في البنية السيادية التي تدير فعل موته، بحيث ينقل التحليل من المستوى اللغوي والاستعاري إلى التجسيد المادي له على الجسد الحي والميت. وعن هذا الأخير، فبالرغم من التقاطعات المفاهمية بين هذا البحث ودراسة Jason De León (2015) الإثنوغرافية، التي ناقش فيها ما يسميه "العنف النيكروي" (Necroviolence) بوصفه شكلا من أشكال العنف على الجسد الميت، الذي يتم توظيفه أداة في سياسات الردع الأمريكية على الحدود المكسيكية، فإنّ الفرق الجوهري يكمن في طبيعة العنف الممارس ضد الجثامين. ففي حين يعالج "دي ليون" أثر السياسات الحدودية في جثث المهاجرين التي تترك أداة للردع، يعالج هذا البحث الجسد الفلسطيني بوصفه تهديدا رمزيا يجب ألاّ يترك للتحلل فقط، وإنمّا يقتل بطرق كالتفتيت والتبخر؛ ليُمحى وجوده بالكامل، ويُقصى حتى عن إمكانية التعرف إليه. ففي حين تُستخدم الطبيعة أداة قتل في الصحراء الأمريكية، فيكون العنف النيكروي نتيجة للمكان- وهنا تصنع الدولة شروط الموت في سياسات الإهمال ولا تقتل بشكل مباشر- تمارس إسرائيل عنفًا نيكرويًا استيطانيا مباشرا، كنتيجة سياسية واعية ومن موقع المخيال الاستعماري الذي يستهدف المحو الشامل للوجود الفلسطيني الميت والحي معاً بوصفه قرارا سياسيا. وبهذا لا ينتج هذا البحث استكمالًا لتحليلات العنف النيكروي بوصفه استمرارية للعنف على الجسد بعد موته، بل إزاحة لها نحو أفق سياسي جديد، يتناول المحو بوصفه سياسة جوهرية في المشروع الاستيطاني، وبوصف العنف النيكروي ـ هنا ـ حجبًا وجوديًا لما بعد الموت أصلاً، فيفترض ليون وجود جثة حدث لها شيء ويمكن تتبع أثرها، في حين يتناول هذا البحث ممارسات قتل وتصفية، لا تترك جثة لتَتَبُّعها وكشف ما حدث لها بعد الموت.

وفي سياق هذا المحو للجثامين، وانطلاقًا من الممارسات التي تستهدف الجسد بعد القتل، يتقاطع هذا البحث مع دراسة سهاد الناشف (Suhad Daher-Nashif,2020) في تشخيص تحليل بنية إدارة الموت في السياق الاستعماري؛ فتناول الناشف ممارسات احتجاز الجثامين وتعليق دفنها وتسييس فقدانها، بوصفها أدوات استعمارية تفرض مفاهيم السيادة والإجراءات البيروقراطية على الجسد الميت، لتظهر كيف تتجاوز إسرائيل نماذج السيطرة التقليدية إلى أنماط استعمارية تُنتج "موتا مؤجلا" خارج النظام القانوني والأخلاقي. لكن الإضافة الرئيسية لهذا البحث، والجوهرية في سياق الممارسات الجديدة التي كشفتها حرب الإبادة على غزّة، هي في كونه يرصد النقلة النوعية في أنماط السيطرة الإسرائيلية على الجثامين واستهدافها، والتي تتمثل في تفتيت الجثامين وتبخّرها واختفائها. ففي حين تُبقي سياسات الاحتجاز على إمكانية رمزية لمقاومة الهيمنة الاستعمارية عليها، عبر استعادة الجثمان ودفنه، حيث يمكن المطالبة به أو التفاوض حوله، فإن اختفاء الجثمان وتلاشيه في الوقائع التي يوثقها هذا البحث، يشير إلى نمط سيادي أكثر تطرفًا، يتمثل في عنف المحو الكامل، فتسلب الجثامين حتى من أن تكون موضوعًا للصراع بين الاحتجاز ومقاومته، فلا تعود قابلة للاستعادة والدفن. هذا الفارق يكشف عن نقلة مفاهيمية من إدارة الجثمان، كما تقدمها دراسة الناشف، إلى إنكار وجوده، ومن التحكم في طقوس ما بعد الموت إلى سلب الطقس ذاته. وبهذا، يوسع هذا البحث ما طرحته الناشف من جهة، ويعيد صياغة سؤال السيادة ذاته من جهة أخرى: من احتكار الجثامين إلى محوها، ومن سلطة على موتها إلى سلطة على إمكانية وجودها ما بعد موتها.

2. مدخل وتأطير نظري: بنية الإماتة في سيادة الحاكميّة الاستعماريّة على الجسد

2.1 الاستثناء بوصفه إطارا للسيادة المطلقة والإبادة المُمأسسة

أعلنت السلطات الإسرائيلية بعد يوم من عملية "طوفان الأقصى" التي نفّذتها حركة المقاومة الفلسطينية (حماس) في السابع من أكتوبر 2023، حالة الحرب الرسميّة ضدّ قطاع غزة؛ ما وضع إسرائيل تحت قانون الطوارئ. ثمّ فرضت في 9 أكتوبر حصارًا كاملًا على القطاع؛ بمنع دخول الغذاء والماء والدواء والوقود والكهرباء، تبعه تشكيل حكومة طوارئ مصغرة أو مجلس الحرب الإسرائيلي في 11 أكتوبر، على غرار الذي جرى تشكيله في حرب حزيران (1967). ولم تكن هذه الإجراءات مجرد استجابة أمنية طارئة، بل شكّلت إعلانًا فعليًا عن دخول إسرائيل في ما يسميه جورجيو أغامبين "الحالة الاستثنائية" بوصفها ممارسة للسلطة، تؤسس لنظام قانوني موازٍ يعلّق فيه العمل بالقانون لمصلحة سلطة سيادية مطلقة، تتجاوز حتى حدود الشرعية المؤسسية نفسها، إذ يمكنها اتخاذ إجراءات غير قانونية خارج إطار القانون الدولي الإنساني الذي يكفل عدم التعرض للمدنيين، بالتسويق إلى أنّ استشهاد عشرات الآلاف منهم هو "ضرر جانبي" في ظلّ ما تستدعيه "حالة الطوارئ" التي تخلق لها إسرائيل قانونًا في شأنها السياسي، تخرق به القانون العام بادعاء "الإجراءات الدفاعية" التي تُتيح لإسرائيل استخدام القوة العسكرية وتسويغ عمليات القتل والتدمير بشكل مُعلَن، تحت غطاء حماية الأمن القومي، فـ " حالة الاستثناء ظاهرة تقتضي تعليق العمل بالقانون، لتعطي شرعية مطلقة للسلطة في تطبيق حرّ لآلياتها في السيادة والحكم والسيطرة" (شطارة ونصار، 2022: 103)، وبهذا يتحول المستثنى من الحماية القانونية إلى ما يسميه أغامبين "الحياة العارية (bare life) "؛ أي تلك الحياة التي يمكن قتلها دون أن يُعد قتلها جريمة.

وفي هذا الإطار، تُعيد إسرائيل إنتاج قطاع غزة بوصفه مجالا سياديا خارجا عن القانون، تُشرعن فيه الإبادة؛ ليتحول الجسد الفلسطيني إلى تجسيد لهذا المفهوم، وتصبح حياته قابلة للقتل دون مساءلة، لا بوصفه مقاتلًا، بل وجودا يمكن تدميره تحت ذريعة الضرورة الأمنية ومحاربة "حماس". وهذا ما يجعل "الاستثناء" ليس فقط لحظة سياسية، بل يتحول إلى تقنية سيادية مركزية تُدار بها الحرب ذات الطابع الاستعماري الإبادي ضد سكان غزة، لتَخلق هذه الحالة "بنية إبادة ممأسسة" تتجلى في إنتاج مساحة قانونية جديدة، تُقصى منها الحياة الفلسطينية. ففي ظل منطق هذه البنية الممارس في القطاع منذ أكتوبر 2023، فلا يُعد استهداف المدنيين في المستشفيات والملاجئ والمنازل خرقًا للقانون، بل يُعاد تأطيره فعلا ضروريا، بالاستناد إلى مفهوم وجودي يجعل من قتل عشرات الآلاف فعلاً مشروعًا، بوصفه "أثرًا جانبيًا"، وغطاء تأويليا لإعادة تعريف أفعال الإبادة بوصفها تدابير دفاعية.

2.2 من إدارة الحياة إلى هندسة الموت

تتقاطع "الحالة الاستثنائية" مع مفهوم "السياسات النيكروبوليتية" أو سياسات الموت (Necropolitics) الذي قدمه أتشيل مبيمبي (Achille Mbembe)، والذي في سياقه يتم خلق حالة استثنائية دائمة، تُعلق فيها الحقوق والقوانين العادية. ويشير المفهوم إلى استخدام السيادة لحقها في التحكم في حياة الأفراد وموتهم، وتحديد من يُعدّ مؤهلاً للحياة، ومن يُمكن إخضاعه للموت (Mbembe,2019:66). وهنا تتداخل السيادة مع "السلطة الحيوية"(Biopower) في تشكيل العلاقة بين الحياة والموت بما يعكس كيفية إتمام التمييز بين من يستحق الحياة ومن يُعدّ تهديدًا أو عدوًا، فلا تعدّ السيادة مجرد سلطة سياسية، بل تنطوي على حق العنف الذي يمكن للدولة ممارسته ضد الأفراد أو الجماعات؛ ما يسلط الضوء على الممارسات السياسية التي ترتبط بحق القتل وإضفاء الشرعية على العنف في المجتمع (Mbembe,2019:70).

وفي سياق حرب الإبادة في غزّة، تشكل العلاقة بين مفهومي "السلطة الحيوية"(Biopower) كما طوّره ميشيل فوكو (Michel Foucault,1978) و"السياسات النيكروبوليتية" (Mbembe, 2003) كما قدّمها مبيمبي، مدخلًا نظريًا لفهم طبيعة العنف الإسرائيلي تجاه الجسد الفلسطيني في سياق حرب الإبادة على غزّة، والذي تستخدم فيه إسرائيل السياسات الانضباطية والحيوية والنيكروية معًا، لتحقيق هيمنتها المطلقة (Mbembe, 2003: 29). ففي حين يشير فوكو إلى أن السلطة المعاصرة تمارس نفسها عبر إدارة الحياة، من خلال ضبط السلوك وتنظيم السكان ومراقبة الأجساد، يرى مبيمبي أن السلطة تتجاوز إدارة الحياة لتصل إلى ممارسة سياسات الموت؛ أي القدرة على "جعل الآخر يموت" وتسييد الموت بوصفه أداة للهيمنة والسيطرة. وفي حالة القطاع، لا يقتصر العنف الاستعماري على السيطرة على حياة الفلسطينيين، بل يمتد إلى "هندسة الموت" ذاته، حيث يتحول الجسد الميت إلى موقع للسلطة، تتحكم به سلطات الاحتلال عبر سياسات متعددة تشمل التمثيل بالجثث، والتشويه، والاحتجاز، والدفن المجهول. هذه الممارسات تُمثّل تحكّمًا سياديًا لا يكتفي بقتل الجسد، بل يشمل ـ أيضًا ـ إدارة موته وصورته، بما يعكس انتقالًا من السلطة التي تُنظم الحياة، إلى تلك التي تسيّد الموت وتوظفه لاستمرار الاستعمار.

ومن ذلك المنطلق، يمكن النظر إلى أنّ "حالة الاستثناء" التي أنتجتها إسرائيل لتشمل جميع انتهاكاتها ضدّ الفلسطينيين، تمثّل شكلا من أشكال "الحاكمية الاستعمارية"[1] التي يمارسها الاحتلال في فلسطين، وتجسيدًا خاصًا لأنماطها الممارسة

[1] هي مصطلح يشير إلى الأنظمة والسياسات والمؤسسات التي استخدمتها الدول الاستعمارية لإدارة المستعمرات والسيطرة على شعوبها، في عدّة مجالات: الهياكل السياسية والقانونية الاستعمارية التي تتوافق مع مصالح الدولة المستعمرة، السيطرة الاقتصادية لمصلحة الاقتصاد الاستعماري وخلق تبعية اقتصادية للدولة المستعمِرة، الإدارة الاجتماعية والثقافية ومحاولات التهميش والطمس وإعادة تشكيل الهوية والمجتمع، والسيطرة

للسيطرة على أجساد الفلسطينيين "لإماتتها". وهي استراتيجية تتبنى أساليب وسياسات متعددة، تهدف إلى التحكم في حياتهم بما يؤثر ـ بشكل شامل ـ في وجودهم، وتُطبق بطرق متنوعة، تتداخل فيها الجوانب العسكرية، والاقتصادية، والاجتماعية والقانونية. ومن أبرز تلك الممارسات الحصار المستمر والإغلاق الواسع المصاحب لإعلان الحرب، بهدف التحكم في المواد الغذائية والخدمات الطبية. يتجلى ذلك في القيود المفروضة على نقل المرضى خارج القطاع للعلاج، وفي السيطرة على الموارد الاقتصادية والمعيشية عبر سياسات التجويع والحرمان، فالتحكم في المواد الغذائية والموارد الأساسية الداخلة إلى القطاع، أدى إلى تفشي حالات سوء التغذية ووقوع وفيات ناجمة عن انعدام الأمن الغذائي، إلى جانب التحكم في الصحة والرعاية الصحية عبر الضربات الجوية المكثفة التي تستهدف المنشآت الطبية بوصفها بنية حيوية للحياة.

2.3 الإماتة بوصفها بنية استعمارية: تفكيك المراحل الثلاث لاستهداف الوجود الفلسطيني

يستخدم هذا البحث مفهوم "بنية الإماتة" للإشارة إلى مجموع الممارسات والسياسات التي تسهم في إنكار الحق في الحياة وإنتاج الموت، إما بشكل مباشر عبر القتل العشوائي والمستهدف، أو غير مباشر عبر السياسات التي تؤدي إلى التدهور المستدام للوجود الفلسطيني. وذلك بوصفه إطارًا تفسيريًا جديدًا، يتيح فهماً أوسع وأعمق للممارسات الإسرائيلية تجاه الجسد/الجثمان الفلسطيني، ويُفهم بوصفه تراكما من سياسات الاحتلال الإسرائيلية على الجسد الفلسطيني، الذي يُستهدف بوصفه جزءا من استراتيجية استعمارية أكبر للإخضاع والسيطرة، يتداخل فيها العنف المادي مع العنف الرمزي.
كما يُميز مفهوم "بنية الإماتة" بين القتل بوصفه فعلا مباشرا وأداة في سلسلة أشمل من ممارسات تقويض الوجود الفلسطيني، والإماتة بوصفها عملية مستدامة ومتعددة الطبقات، تُدبّر وتُهندس عبر منظومة معقدة من السياسات. فالقتل هو أداة إنتاج الموت بممارسة علنية وفورية، ليمثل المرحلة الأكثر وضوحًا في سلسلة الممارسات المرتبطة ببنية الإماتة التي يندرج ضمنها. في المقابل، تشير الإماتة إلى الإطار البنيوي الأكبر الذي يخلق بيئة يتم فيها قتل الفلسطينيين بوصف القتل فعلا متكررا ومنهجيا، فهي عملية ممتدة تتضمن سلسلة من الممارسات المنظمة لاستهداف تفكيك الجسد الفلسطيني وتحطيمه حيًّا وميتًا، فتتجسد ما قبل القتل من خلال سياسات الحصار وسلب مقومات الحياة بفعل تجريد الجسد من إنسانيته، بينما يشكل القتل الفعل المفصلي فيها، وتستمر ما بعده من خلال ممارسات تستهدف الجثامين مثلًا.

وبهذا تُفهم الإماتة بصفتها بنية متواصلة تتخلل الحياة اليومية وتمتد إلى ما بعد الموت؛ أي ينظر البحث إلى بنية الإماتة بوصفها عملية تتضمن غير مرحلة ولها زمن استعماريّ، فلا تشمل القتل المباشر فقط، بل تمتد لتشمل عمليات تفكيك البنى الاجتماعية والثقافية الفلسطينية، من خلال أفعال الاحتلال اليومية في هذه الحرب؛ كالحصار والمراقبة والتعطيل، ما يعمل على تهديد الفلسطينيين أفرادا ومجتمعا ووجودا؛ بمعنى أن بنية الإماتة تتشكّل من ركيزتين استعماريتين، هما: الاستهداف والقتل المباشر، والتدمير المبني على العنف الرمزي انطلاقًا من خصوصية السياق الاجتماعي والسياسي، حين تُعطل من خلال الجسد العلاقات بين الحيّ والشهيد، وبين الناجي والضحية، وبين الجماعة وسرديتها الجمعية. وكلتاهما متداخلة وممتدة مع الزمن الاستعماري لها، الذي نقصد به المراحل الثلاث التي تشكّل خطّها الزمني الذي يتضمن استراتيجيات الاحتلال ما قبل القتل من سياسات تخلق حالة من التهديد الوجودي، وفي القتل ولحظة الموت، وما بعد القتل من ممارسات على الجثامين تؤثر في المجتمع كله.

فدراسة بنية الإماتة سوسيولوجيًا تتطلب تناولاً شاملاً يتضمن المراحل الثلاث؛ لأهمية الكشف عن كيفية تجسيد هذه البنية في سياسات الاحتلال التي استهدفت الجسد الغزّي خلال الحرب الحالية، مع الإشارة إلى أنّ منها ما هو سياسة متجذرة تجاه الجسد الفلسطيني عمومًا، إلا أنّ في تجليات ممارسات إسرائيل في عدوانها على قطاع غزّة ما يستحق البحث لقراءة تلك الممارسات كاملة من منطلق التحليل البنيوي لممارسات الحاكمية الاستعمارية على الجسد والجسد الميت خصوصاً، بالسيطرة العسكرية والتدمير الجسدي-المادي والرمزي، في إطار "بنية إماتة" تتكثف ليس بوصفها استراتيجية قتل فقط، بل بوصفها نظاما استعماريا يهدد الفلسطيني في حياته ومماته. ولذا، فلا يمكن دراسة الإماتة في السياق الغزّي إلا بوصفها بنية استعمارية، يشتبك فيها العسكري بالقانوني والسياسي، والرمزي بالمادي، ليحوّل الجسد الفلسطيني إلى موقع لتفكيك الجماعة من الداخل عبر إدارة موتها وليس قتلها فقط.

3. أولًا: مرحلة ما قبل القتل (تهيئة ظروف الإماتة):

تتمثل المرحلة الأولى من مراحل "بنية الإماتة" في عملية تهيئة الظروف المواتية لإماتة الجسد بالتأسيس لماهيته وشروطه، عبر سلسلة من الإجراءات والممارسات التي تطبقها إسرائيل في قطاع غزّة قبل تنفيذ عمليات القتل المباشر أو الممنهج البطيء للسكان، من خلال سياسات ممنهجة تهدف إلى نزع الصفة الإنسانية عن الفلسطينيين بالتزامن مع الإعلان عن "حالة الاستثناء" وتجسيدها في إجراءات التحكم في حياتهم؛ ما يُعمّق من إنكار الحقائق الإنسانية للفلسطينيين ويُبرر الظلم الواقع عليهم، فيُسهّل استهدافهم والعنف المنهجي الذي يُمارَس ضدهم. وفي هذا، تتوسع دوائر الاستهداف والعنف لتطال جوانب الحياة اليومية عبر تشكيل واقع مأساوي يتجاوز مجرد القتل أو الحاجة العسكرية؛ ليكون أداة لإعادة تشكيل العلاقة

العسكرية والأمنية واستخدام القوة والقمع وفرض المراقبة والتحكم. كما أنّها ليست مجرد مجموعة من السياسات، بل هي نظام متكامل يؤثر في كل جوانب حياة السكان الأصليين.

بين السلطة الاستعمارية والمجتمع المستعمَر في أوقات الأزمات والطوارئ التي تستعدي حربا شاملة. وعليه ينطلق النقاش في هذا المحور من مقولته التأسيسية التي ترى في هذه المرحلة؛ مرحلةَ نزع الصفة الإنسانيّة وإنتاج "الحياة العارية" لتشكيل الإنسان الغزّي "المستباح" وفقًا لأغامبين، عبر تدابير تداخلية تشكّل نظامًا يُفضي إلى الإبادة الممنهجة، سواء أكانت بشكل مباشر أم عبر تدمير مقومات الحياة اليومية الأساسية وخلق الموت بوصفه ظاهرة مجتمعية.

يقول أحمد بسيوني، كاتب وباحث من قطاع غزّة، عايش الإبادة أكثر من نصف عام:

"حين تُنزَع الأنسنة، يتحوّل الجسد إلى موضوع للسيطرة، لا فرق بين قفصٍ حديديّ وآخر هوائي، كلاهما حدود تفرضها اليد المتجبرة على الإنسان المسلوب. تُقاس القيمة حينها بوظيفة الجسد لا بروحه؛ يصبح المرء رقمًا في إحصائية، وزنًا في شاحنة، أو ظلًّا يتلاشى خلف الجدران. ما فعلته إسرائيل في حربها على غزة لم يكن مجرّد اجتثاث للإنسانية، بل صناعة موتٍ مؤجل، عندما قالت إسرائيل: "نحن نتعامل مع حيوانات بشريّة"، نزعت عنّا صفة الأنسنة، هنا كانت اللحظة الفارقة، الحقيقة المحبوسة في جيب الموت، حين يصير القتل حياة يومية تُعاش على شكل انتظار. تتحوّل الأيام إلى مساحاتٍ فارغة من المعنى، تُملأ بالصراع للبقاء، وحيث يصبح السؤال الأكبر: ليس كيف يعيش الإنسان، بل لماذا عليه أن يظلّ حيًا؟"[2]

في إطار هذا التصور، تعد عملية نزع الأنسنة استراتيجية لفلترة وجود الفلسطينيين وكسر إرادتهم، وبالرغم من أنها سياسة استعمارية تستخدمها إسرائيل في كل سياساتها وإجراءاتها منذ بداية احتلالها لأرض فلسطين وشعبها، فإنها برزت علانية وصراحةً في حرب الإبادة الحالية في مفهوم "الحيونة" المستخدم في الخطابات الإسرائيلية التي تُستخدم أداةً لتشكيل الرأي العام وتسويغ الممارسات السياسية، فأظهرت نمطًا من التعبيرات اللغوية التي تنزع صفة الأنسنة عن الفلسطينيين بشكل متكرر، بوصفها وسيلة لتسويغ الاستباحة وشرعنة فعل الإبادة وتعزيز قدراته والقبول به (Maalej & Zibin, 2024:216). وبهذا ظهرت في خضم العدوان الإسرائيلي على قطاع غزّة، ومنذ بدايته، تصريحاتٌ (أيديولوجية) في الخطابات الإسرائيلية السياسية والإعلامية الرسمية، تنتهك مقومات الإنسانية عند الفلسطينيين، وتناقضها، وتُظهر نزعًا مُمنهجًا للصفة الإنسانية عنهم بوصفهم "بالحيوانات" و"الوحوش". كما جرى نشرها واستخدامها أداة لتطبيع العنف بتسويغ السياسات القمعية وتعزيز صورة نمطية، تجرد الشعب الفلسطيني من حقه في الإنسانية والاعتراف، وتسهم في ترسيخ مفاهيم استعماريّة تحريضية، تعزّز من تهميش حقوقهم الأساسية وتخلق بيئة تسويغية لمختلف أنواع الانتهاكات.

ويتجلى ذلك في تصريح وزير الدفاع الإسرائيلي بعد إعلان حصار القطاع بأنهم يحاربون "حيوانات بشرية" (مادة1، ملحق1)، بوصفه مقدمة أيديولوجية لإباحة القتل وتجريده من المساءلة القانونية. ويكرّس رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، هذا الأمر في خطاباته الرسمية والمتكررة (مادة2 و3، ملحق1) التي تخطّ حدودًا بين من يستحق الحياة ومن يعدّ تهديدًا بيولوجيًا يجب قتله، حين يقارن الفلسطينيين "بالوحوش والبرابرة" ليسوغ الإبادة بشرعنتها من حيث وصفها بأنها فعل تحضّري. وفي تكرار مندوب إسرائيل السابق لدى الأمم المتحدة لهذا التوصيف (مادة4، ملحق1) تعزيزًا للخطاب السيادي للإلغاء الوجودي للمدنيين بتحويلهم إلى أهدافٍ مستباحة. كما تكشف الدعوة العلنية التي أطلقتها نائب رئيس الكنيست لحرق غزّة وسكانها (مادة5، ملحق1) ودعوة أعضاء من الكنيست إلى "محو غزة من على وجه الأرض" (Middle East Eye,17/10/2023)، واستخدام الأسلحة النووية ضدّها (The Guardian,16/10/2023)، عن التحول من الخطاب التجريدي إلى صياغة مباشرة لنية الإبادة بوصفها ممارسة سياسية معلنة. كما يمثّل استدعاؤهم للنكبة بوصفها هدفا لهذه الحرب (مادة5، ملحق1)، إحالة تاريخية للإبادة بوصفها ممارسة قابلة للتكرار وليست حدثًا استثنائيا؛ أي أن ممارساتهم العنيفة تعمل بصورة توصف بأنها إعادة إنتاج استعمارية للكارثة السياسية ولا تقتصر على الحاضر.

وعليه، فإنّ عنف التصنيف اللغوي والسياسي في ذلك، يمثل أداة بيروقراطية للعنف المؤسسي الذي يؤهل جهاز الدولة للقتل، فتصبح مؤسسات الدولة ونخبتها منتجا أيديولوجيا وتقناي لإدارة الحياة وهندسة الموت، وفقًا لمنطق "الحياة العارية" التي تنتجها "حالة الاستثناء"، وهو المفهوم الذي طوّر من خلاله أغامبين فكرة "الجسد السياسي". حيث تعرف "الحياة العارية" أو المجردة بأنّها الحياة/الحالة التي يُختزل فيها وجود الإنسان بوصفه مجرد كائن بيولوجي؛ أي مجرد جسد مستبعد من التشريعات القانونية ومجردا من الحقوق الإنسانية، بعد أن أفقدتهم إياها عملية فرض حالة الاستثناء/الطوارئ؛ بما يجعلهم عرضة للعنف والانتهاك دون أية حماية قانونية بالمقابل من الحياة السياسية التي تمنح الفرد ضمن مجتمعه حقوقا سياسية وقانونية، يتمتع فيها بحقوقه المدنية. ليتحول الإنسان في هذه الحالة إلى "الإنسان الحرام أو المستباح"؛ أي"شيء دون درجة الآدمية ... ينبغي إبعاده (أي عن طريق النفي أو الاحتجاز) عن الوجود الطبيعي للإنسانية في (حياة سياسية) (Bios)" (أغامبين،2015: 31). ويربط أغامبين هذه المفاهيم بالسيادة الحيوية التي يعكس منطلقها كيفية ممارسة السلطة للسيطرة على الأفراد واستخدام مسوّغات لتنفيذ سياسات التحكم في حياتهم. فالسيادة الاستعمارية تُمارس اليوم من خلال التحكم في الحياة البيولوجية للأفراد وتطبق سياساتها للسيطرة على وجود "الحياة" نفسها. وعليه، تُعرّض إسرائيل مجتمع قطاع غزّة قبل الوصول إلى مرحلة القتل، إلى العنف البنيوي/الهيكلي الذي يرتكز على الحصار الذي يشمل تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والمعيشية، فيلعب دورًا أساسيًا في تقويض الحياة ويهيئ الظروف للإماتة.

وتبدأ عمليات استهداف الجسد من خلال سياسات الإغلاق المستمر للمعابر والمنافذ الوحيدة وتعليق وصول السكان إلى الموارد الأساسية للعيش، والتي تُعدّ وسيلة لنزع إنسانيتهم والنظر إليهم على أنهم مجرد أرقام أو "مشكلة" يجب السيطرة عليها. كما يرافق الحصار سياسة فرض السلطات الإسرائيلية الرقابة الشاملة لترهيب السكان وتشكيل بيئة من القلق الدائم،

[2] أحمد بسيوني، عبر فيسبوك، 2024/12/15، شوهد في 2024/12/15، في: https://www.facebook.com/share/p/1Cfm3p2xe2/

من خلال أنظمة الكاميرات والمسيّرات ونقاط التمركز التي أقامتها في القطاع على غرار الحواجز العسكرية في الضفّة الغربية للتفتيش والاعتقال والقتل ومراقبة النزوح ومنع العودة بعده بما يسلبهم حقوقهم الإنسانية؛ إذ يُعدّ هذا النوع من السيطرة بمنزلة عملية نزع الطابع الإنساني عن أهل القطاع كله؛ ليُقتصر وجودهم على كونهم "هدفًا" للمراقبة تحت تهديد العنف، وعرضةً للموت المتاح بكثافة. فقد ظهر تعميم نزع الأنسنة عن أكثر من مليونيّ إنسان في الخطابات الإسرائيلية التي نفت المدنيّة عنهم لتشريع السياسات الاستعمارية كافة وتعميمها عليهم. مثلاً؛ أشار رئيس إسرائيل، إسحاق هرتسوغ إلى أنّه "ليس صحيحًا أن المدنيين غير مدركين أو غير مشاركين"، وسوّغت عضو الكنيست قتل الأطفال بأنهم "جلبوهم لأنفسهم" (مادة6، ملحق1)، ليُعيدا إنتاج ثقافة لوم الضحية وجعلها أداة استعمارية لتحيل مسؤولية الجريمة للضحية ذاتها. كما يرى الجنرال الإسرائيلي، غيورا آيلاند، أن كل سكان القطاع هم هدف مشروع (المادة7، الملحق1)، ليؤكد توسيع القرار السيادي في القتل ليشمل المجال المدني بأكمله، ليتجاوز العنف الاستهداف الفردي إلى المحو الجماعي. وبهذا جعلت إسرائيل نموذج "الإنسان المستباح" القاعدة الأساسية في تعاملها مع جميع أفراد القطاع. وعليه "تصبح الحياة هي الأساس الخفي الذي يقوم عليه النظام السياسي في الدولة، وتسود كذلك حالة من الإجراء التأديبي تجعل الإنسان المستباح موضوعًا للسلطة السياسية"(شطارة ونصار، 2022: 105).

وتجدر الإشارة ـ هنا ـ إلى أنّ "نزع الصفة الإنسانية" و"الحالة الاستثنائية" وتداعياتها، هي استراتيجيات عزّزتها إسرائيل في عدوانها الحالي، لكنها ليست مستجدة في السياق الفلسطيني، ويربطها مع الاحتلال الإسرائيلي علاقة بنيوبة في الفكر الصهيوني وعلاقة عضوية في سياساته السيادية. فمن جهة، اعتاد المسؤولون الإسرائيليون منذ عقود على توصيف الفلسطينيين بما ينزع عنهم آدميتهم (المادة8، ملحق1)؛ بما يظهر استمرارية استعمارية في تأطير الفلسطينيين بوصفهم كائنات ما دون بشرية، ليعكس بُعدًا بنيويًا في مشروع الإماتة الإسرائيلي. ومن جهة أخرى، تفرض إسرائيل على قطاع غزّة حصارًا على البرّ والجوّ والبحر منذ فكّ الارتباط الأحادي عام 2005، وتتحكم في كلّ ما يدخل إليه ويخرج منه. لكن الجديد في سياق العدوان الحالي، هو أنّ إسرائيل قنّنت حالة الحصار بحالة الطوارئ وإعلان الحرب وعطّلت التشريعات الدولية كافة؛ لأهدافٍ تتجاوز أهداف الحصار المعتادة والتي يمكن اختصارها سابقًا بغايات العقاب والضبط والتطويع، وتتمثل اليوم في تعميم الموت الجماعي وتسريع وتيرة الإماتة إخضاعاً لإمكانية النفي وتحقيقًا لفعل الإبادة بشرعية مطلقة، فامتاز الحصار الحالي على المعابر وعلى الغذاء والإمدادات الطبية والشتوية والسكنية، والتشغيل والتدفئة، بأنّه حقق وفيات بسبب المجاعة والبرد ونتيجة تعطيل الخروج للعلاج. كما جرى تكثيف توظيف مصطلحات "الحيونة" و"الوحشية" بما يعطي انطباعاً بأن جميع أهل القطاع يشكلون تهديداً أمنيًا لإسرائيل وللإنسانية ويحول الحرب إلى حرب وجودية، إلى جانب استخدامها لغة تتعاطى مع القتل بصفته عملا عسكريا، فتُصوَّر الضحايا بأنهم "إرهابيون"، بما يسهم في تسويغ العدائية والعنف تجاههم في الرأي العام، والتقليل من شأن الخسائر البشرية لتقويض الضغط الدولي، فتكتسب إسرائيل سيادة مطلقة على استمرارية القتل.

وبالتالي، فإن ما يضيفه التحليل السوسيولوجي على طروحات أغامبين، هو فهم الاستثناء بوصفه حالة مُمأسسة وليست قرارًا سياديًا في قانون فقط، فيُمارَس الاستثناء من خلال أجهزة السيطرة اليومية بوصفه منطقا استعماريا يُدار به الحضور الفلسطيني ويصبح القتل ـ هنا ـ نمطًا لحكم الاحتلال وليس حالة طارئة، والاستثناء ليس خروجًا عن القاعدة بل القاعدة ذاتها. وبهذا المعنى، فإن الإبادة لا تكون فعلًا عسكريًا فقط، بل نظامًا سياسيًا يعيد تعريف السيادة بوصفها حقّا في إنتاج الموت كما هي في تنظيم الحياة وفقا لشروط المستعمِر.

4. ثانيًا: مرحلة القتل (لحظة الموت بوصفها فعلا استعماريّا)

تستهدف إسرائيل الجسد الفلسطيني في عدوانها على غزّة من خلال استراتيجية (إدارة هيئة القتل بالمحو والتشويه)، والتي تهدف إلى إعادة تشكيل هيئة الموت بأجساد كاملة وخلق "مجهولية الجثامين" عبر تفكيك بنية الجسد إلى "أشلاء" أو محوه بالحرق والتبخر، باستخدام استراتيجيات عسكرية للقتل ذات قدرة تدميرية عالية للجسد، كالقصف المكثف والعشوائي، واعتماد أسلحة محرمة دوليًا، تحيل مباشرة إلى تشويه الجسد وتفتيته وتبخيره (تذويبه)؛ ما ينزع عن الفلسطينيين أشكال الإنسانية حتى في موتهم، باستراتيجيات تدير فعل القتل الاستعماري بأساليب تحقق إهانة الجسد المقتول وإذلال المجتمع بأكمله. فليست هذه السياسات مجرد أفعال عسكرية، بل هي جزء من عملية أوسع للتحكم في المعنى الاجتماعي والسياسي للموت، ويتجاوز فيها استهداف الجسد الفلسطيني مرحلة القتل المادي إلى تدمير الرمزية المتصلة به واستهداف الهوية الفردية للجسد؛ أي إنّ قتل الجسد الفلسطيني بالتشويه الاستعماري هو عملية إسرائيلية مزدوجة، تسعى إلى تأكيد هيمنة قوتها على الجسد بوصفه يمثل موقعا للعنف من جهة، وتدميرا للرمزيات النضالية المرتبطة بالجسد بوصفه موقعا للمقاومة ـ أيضًا ـ من جهة أخرى، مع التأكيد على أن هذه المرحلة على تبقى ارتباط مباشر بالمرحلة الثالثة في بعض جوانب تحليل العنف المعنوي الكامن في تداعيات ممارسات تحليل فعل القتل المادي.

4.1 إعادة إنتاج الهيمنة من خلال الموت

شكّل السابع من أكتوبر حدثًا تجاوز هيمنة المستعمِر المتمثلة في سردية تفوقه الأمني والاستخباراتي، وقدرته على ترسيم السلوك السياسي والوطني للفلسطينيين بالضبط والترهيب، وتعريفه لذاته بأنه "لا يقهر"؛ ما أحدث شرخاً في البنية السلطوية للمنظومة الاستعمارية التي تحدد العلاقة ما بين الإسرائيلي والفلسطيني من فوارق القوة على تعدد أوجهها. من هنا، يعدّ القتل

الممنهج في قطاع غزّة أكثر من مجرد فعل إنهاء للحياة؛ إنه فعل رمزي يُعيد تعريف العلاقة بين المستعمِر والمستعمَر. بمعنى أنّه ليس مجرد وسيلة لتحقيق أهداف عسكرية، بل هو استراتيجية لفرض هيمنة استعمارية مستدامة. وذلك يتضح في الشهادات المرويّة عن أساليب القتل التي تنتهجها إسرائيل، والتي تعكس تجاوز القتل بوصفه فعلا إلى خلق استراتيجية ممارسة منهجية تستخدم الموت الناتج عنه أداةً لتحقيق هيمنتها على المستعمَر عبر محو أية رمزية تربطه بالمقاومة. أي إنّها توظّف القتل الاستعماري بوصفه آلية تحفظ لها استدامة سيطرتها الاستعمارية، من خلال نزع الإنسانية عن الضحايا ومحو كرامة الجسد الفلسطيني، وتعزيز حالات انهيار البنى الاجتماعية والنفسية للمجتمع الغزّي.

فمثلاً تظهر إفادات الطواقم الطبية في غزّة (المادة1 و2، ملحق2) استخدام الاحتلال لأساليب قتل الجسد بالتشويه وتحويله المتعمّد إلى أشلاء مبعثرة، ودلالات الهيمنة في فعل القتل الاستعماري الجماعي للتأكيد على أنّه ليس فقط أداة لإنهاء وجود الجسد، وإنما استراتيجية إسرائيلية لإعادة تشكيل وعي المستعمَر وهويته ومكانته، فالعنف المفرط والقتل بالتشويه الجسدي في سياق الاستعمار يتجاوز مجرد العنف المادي إلى أداة تأكيد لهيمنة القوة الاستعمارية وتحويل الجثامين إلى رموز قمع وترهيب وردع؛ لرسم سياسات القوى وفرض السيادة الاستعمارية. ولا تقتصر أساليب القتل هذه على مجازر بعينها، فالمشاهد المرئية والشهادات المروية كافة، تُثبت ـ على مدار أكثر من عام ونصف العام ـ كيفية عمل الاحتلال الإسرائيلي على إدارة الجسد الفلسطيني بالقتل والتشويه بوصفه فضاءً للهيمنة السياسية وحيزا للعنف الاستعماري.

إنّ تشويه الجسد بفعل الموت هو امتداد للسياسة الإسرائيلية الإحلالية، التي تهدف إلى إلغاء الجسد الفلسطيني، و"هذا المنطق من مَوْضَعة الذات الصهيونية في خانة القادر على الانتهاك، وموضعة الآخر الفلسطيني بوصفه شيئا في خانة القابل للانتهاك، هو جزء من المنطق الاستعماري"(ظاهر-ناشف وشلهوب-كيفوركيان، 2015: 133)؛ فأساليب القتل هذه ليست فقط عملا عنيفا، بل أداء سياديا يهدف إلى إبراز إسرائيل مرة أخرى بوصفها خصما لا يقهر عبر استعراض القوة على الجسد. وهذا الاستعراض العام للعنف وللقتل الممنهج هو استراتيجية لتعزيز سيطرة المستعمَر وإلغاء أنسنة الضحية، من منطلق أنّ السلوك الاستعراضي في القتل وخلق حالة من (فوضى الموت) هو أداة لفرض هيمنة تخدم السلطة الاستعمارية. وبهذا تعمل إسرائيل ـ في عدوانها الحالي ـ على تحويل القتل إلى أداء سياسي مسرحي لإبراز السلطة الاستعمارية وإدارة المستعمَر على الخوف والخضوع؛ لتقويض إرادة المقاومة ومحو جدواها لديه، من خلال توظيف العنف المادي لتطويع الجمهور على التماهي مع الموت وتعزيز الشعور بالضعف والعجز بما يخدم الأهداف الاستعمارية. فالعنف الاستعماري فعل يعيد تشكيل وعي الشعوب المستعمَرة وفقاً لأهداف المستعمِر، فممارسات إسرائيل تجاه الفلسطينيين هي امتداد لنظام استعماري يهدف إلى السيطرة على الأرض والشعب من خلال العنف البنيوي الممنهج لترسيخ نظام الهيمنة.

ومنه يمكن ربط هذه الممارسات والسياسات الإسرائيلية تجاه الجسد الفلسطيني مع مفهوم "السياسات النيكروبوليتيكية"(Necropolitics) التي أشار مبيمبي إلى أنّها تُمارس بشكل أكثر وضوحًا في سياقات الاستعمار والاحتلال باستخدام الموت بوصفه أداة سياسية للسيطرة والإخضاع. فوفقًا له، فإنها تعني أن السلطة لا تتحكم فقط في كيفية عيش الأفراد، بل في كيفية موتهم أيضًا، ما يعكس سيطرة مطلقة على الجسد الفلسطيني. وبالتالي، يصبح الموت أداة فعالة لفرض الهيمنة السياسية والاجتماعية، ووسيلة لإرهاب المجتمع الفلسطيني، بما يسهم في إخضاعه وإحكام السيطرة عليه، فتُظهر الشهادات والمرئيات أن الاحتلال يستخدم الموت شكلا من أشكال السيادة، فيصبح القتل جزءًا من استراتيجية لإعادة تشكيل الحياة الاجتماعية الفلسطينية تحت شروط الاحتلال؛ فيُستخدم الموت بشكل منهجي لفرض حالة دائمة من الخوف والعجز النفسي الذي يضمن بقاء الفلسطينيين في حالة ضعف وخضوع. وبهذا يُفهم التوظيف السياسي لفعل الموت بالقول بأن القتل بوصفه هدفا مرئيا في منظومة العنف الاستعماري التي تمارسها آلة الحرب في قطاع غزّة، يتضمن أهدافا سلطوية كامنة/غير مرئية، تتمثل في إعادة إنتاج الهيمنة بتجاوز تأثيرات عملية "طوفان الأقصى" فيها بأداء سيادي يبرز تفوق قوة "دولة الاحتلال" بعنف يعطّل حضور الفلسطيني بوصفه فاعلا في أية مقاومة ممكنة للاستعمار. فهو عنف يتجاوز جسد الفرد ليصبح هجومًا سلطويًّا على الجسد الجمعي (المقاوم) للمجتمع الفلسطيني.

4.2 تعطيل "المعنى الوظيفي" للموت الاستشهادي

يتمثل التحليل الآخر لممارسات (إدارة هيئة القتل بالمحو والتشويه) في غايتها في تحييد الرمزية النضالية للموت الاستشهادي أو تعطيل الرمزية النضالية وتحويل الموت إلى "موت بلا معنى "عبر استهداف منظومة الشهيد، في محاولةٍ لمحو الهوية النضالية المرتبطة بالشهادة، أو تفكيكها، فممارسات إماتة الجسد بالتشويه والمحو هي أداة لتشكيل صورة الفلسطيني "الضحية" بين الفلسطينيين أنفسهم، عبر محو صورة الفلسطيني "المقاوم" والفلسطيني "الشهيد". ويُعرّف الموت، فلسطينيًّا، في سياق مواجهة المحتل بفعل (الاستشهاد) الذي يعبّر عن استمرارية رفض الاحتلال وسلطته بثمن نفي الجسد. وعادةً حتّى في سياق الحروب والمواجهة الجماعية المباشرة، يحافظ الفلسطيني على تعريف الموت بالشهادة حرصًا على تعطيل أهداف الاستعمار في فرض حالة الاستسلام باستخدام العنف، ولِما في نمط "الموت الاستشهادي" من قوة رمزية تشكّل حافزًا لاستمرارية المقاومة وقهر المحتل وإفقاده غاياته.

من هنا تمثلت أولى استراتيجيات إسرائيل في استهداف منظومة الشهادة الفلسطينية، في خلق "حالة الاستثناء" التي عمّمت القتل والموت في القطاع لاستهداف المدنيين وليس المقاتلين فقط، بما في ذلك الأطفال والنساء، ما يصعّب على الناس التعامل مع كثافة هذا الموت بوصفه استشهادا، خاصةً أنّه يخلو من إرادة الموت التي يمتلكها المقاتل المقاوم. وذلك بما يتيح لإسرائيل إمكانية فرض سرديتها الاستعمارية حول الموت الناتج عن المواجهة معها، وإعادة تأطيره بوصفه فعلا فلسطينيا يخلو من

المعنى، انطلاقًا من موازين القوى التي لا تخضع لها منظومة الشهادة الفلسطينية. ذلك من خلال تغيير السردية الوطنية حول الموت الفلسطيني من "موت استشهادي" يُعدّ رمزًا للنضال والمقاومة إلى "موت كضحية" ليُفقده المعنى النضالي وحالة الجدوى في السياق الجمعي.

أمّا استراتيجيتها الثانية، فتتمثل في ممارسات كيفية إماتة جسد "الشهيد/ة" بالتشويه والتعذيب والمحو، التي تنزع عن الجسد المادي معالم هويته الاجتماعية بوصفه فردا لتفقده هويته السياسية-الوطنية بصفته شهيدا، وهو ما تعكسه المرئيات والمرويات عن تعرّض الجثامين بفعل القتل الاستعماري إلى أشلاء متناثرة، أو تعرضها للتفحم بفعل الحرق أو للاختفاء بفعل التبخر، بما لا يقتصر على العنف المادي بالنفي الجسدي، بل يمتد ليشمل عنفا رمزيا بالنفي الوجودي للهوية، فيُحرم الجثمان من هويته وشخصيته، ومن الرموز الثقافية والاجتماعية المرتبطة به. فأكدت شهادات طبية (المادة3، ملحق 2) على تعقيدات التعرف إلى جثامين الشهداء بسبب تشوه أجسادهم وغياب علامات هويتها نتيجة محو القتل الاستعماري. وهذا ما شاهدناه في عدّة صور، التقطها صحفيو غزّة لشواهد قبور كرتونية، كتب عليها عبارات مثل: "الشهيد مجهول.. جاكيت أسود"، "الشهيد مجهول لابس ترنق بني"، كما أكدت شهادات الأهالي (المادة4 و5 ملحق2) على اعتمادهم في التعرف إلى أبنائهم عبر علامات جسدية جزئية كإصابات سابقة أو على تفاصيل ثانوية كالملابس، بما يعكس كيف ينتج التشوية فجوة بين الإنسان واسمه والجسد وهويته. كما تفيد مصادر رسمية (المادة6، ملحق2) بعد مجزرة مستشفى الشفاء بأنها مجزرة عكست لحظة قصوى من سياسات تشويه هيئة الموت؛ ففي حرقها وتحلّلها في المستشفى تغييب كامل للضحية بإحالة جثثهم إلى "مخلفات حرب" بعد خروج قوات الاحتلال من المستشفى. كما امتازت حرب الإبادة الحالية بظاهرة اختفاء الجثامين وتبخرها بعد تعرضها للقتل؛ بسبب درجات الحرارة الهائلة المنبعثة من الصواريخ الإسرائيلية غير التقليدية حسب إفادة الجهاز الطبي (المادة7 و8، ملحق2). وفي أغسطس 2024، وقد صرّح جهاز الدفاع المدني في قطاع غزّة بأنهم لم يتمكنوا من تسجيل بيانات أكثر من 1700 شهيد في السجلات الحكومية المختصة لتبخر أجسادهم بسبب الأسلحة المحرمة دوليًا (الجزيرة نت، 18/8/2024).

وتُفسّر آليات القتل السابقة من خلال سوسيولوجيا جسد الشهيد الفلسطيني، التي تبيّن كيف أنّ القتل بالتشويه هو هجوم استعماري على الجسد بوصفه تمثيلا للهوية الفلسطينية وللمقاومة، كما هو هجوم على الجسد بوصفه كيانا ماديا. وأنّ هذه السياسات ليست مجرد أفعال عسكرية، بل هي جزء من عملية أوسع للتحكم في المعنى الاجتماعي والسياسي للموت الاستشهادي، بما يُفقده زخمه الرمزي والنضالي. وهو ما يمكن الكشف عنه في الحمولة السوسيوثقافية للجسد الفلسطيني والمعنى القيمي المكتسب من منطلق خصوصيته في السياق الاستعماري، والتي تفرض عليه أدواراً مركزيّة؛ اجتماعية وسياسية، حتى بعد موته الفيزيائي وفقدان وظيفته البيولوجية؛ فيصوّر الشعب الفلسطيني حالة الشهادة بأنها من بواعث استمرارية المقاومة، وفيها تجسيد لمعاني الكفاح والنضال.

وبهذا لا يمكننا "فهم أهمية الجسد الاجتماعية الكاملة إلا في سياق حتمية موت هذا الجسد"(شلنج،2009: 230). فتتجلى أهمية جسد الشهيد/ة في الحالة الفلسطينية من القيمة الشعبية التي تمنح من تفاعله معطى ماديا مع المجال الاجتماعي والثقافي الذي جعله رهين قيم وتمثلات علاقة المستعمَر بالمستعمِر، وفضاءً للإسقاطات النفسية والاجتماعية، وموقعًا للقيم الفلسطينية المشتركة؛ كالمقاومة والتماسك الاجتماعي والتمسك الجمعي بالوطن، بوصفه ليس ملكية فردية فقط، وإنما يمثل ملكية جماعية (إيمان بديوي، 2023/1/12)، من خلال وظيفته المتمثلة في قدرته على "الحشد الجماهيري للحاضنة الشعبية للفعل الثوري وفعل المقاومة تبعًا للمكانة المجتمعية للشهيد الذي استخدم جسده أداة للفعل المقاوم وفعل الاحتجاج السياسي ... وبهذا تتشكّل إحدى أدواره المركزيّة، فالجماعة الفلسطينية تعيد بناء ذاتها المقاومة من خلال رواية موت الشهيد، قصة مقاومته، المعاني السياسية والاجتماعية التي طبعت على جسده، صورته الشكلية، كمّ حاضنته الاجتماعية، سمات تشييعه، وطقوس توديعه"(بديوي،2023). فلا يقتصر مفهوم الشهيد في السياق الفلسطيني فقط على موت الفرد في مواجهة الاحتلال، بل يمتد ليشمل رمزية جمعية تتعلق بالتضحية والصمود، فيشير استهداف إسرائيل لمنظومة الشهيد من خلال محو هذه المعاني والدلالات إلى مساعي إسرائيل في تفكيك الرمزية الثقافية والسياسية المرتبطة بالشهداء الفلسطينيين، عبر تقويض الدور الذي يلعبه الشهداء في تعزيز الروح المعنوية وبناء الهوية الوطنية والمقاومة لدى المجتمع الفلسطيني.

وبالتالي، تحاول إسرائيل "موضعة الشهيد/ة في هامش حيز الموت الفلسطيني وزمنه، وليس في مركزه، كما هو متّبع في المجتمع الفلسطيني" (ظاهر-الناشف،2016: 22)، عبر أساليبها في القتل التي تعدّ جزءًا من استراتيجية أوسع تهدف إلى تفكيك الروابط الاجتماعية والثقافية والسياسية بين الشهادة والهوية الجمعية الفلسطينية، التي تُعزّز من وحدة المجتمع الفلسطيني وقدرته على المقاومة واستخدام رموزه النضالية أدوات لتوحيد صفوفه ومواجهة الاحتلال؛ لتشكّل بذلك امتدادًا لسياسات الهيمنة الاستعمارية التي تستهدف الرمزية الجماعية بهدف إعادة تشكيل السردية والرمزية المرتبطة بالموت الفلسطيني بعد فصل الشهيد عن المجتمع وعن المعنى النضالي الذي يحمله بإفقاده أية قدرة على التأثير في الوعي الجمعي، ليُصبح الموت حالة من اللامعنى بتحويله إلى حدث فردي معزول، ليُصبح الجسد مجرد أداة في الصراع الذي تديره إسرائيل من منطق الإبادة، الذي يُحوّل القضية الفلسطينية إلى "مأساة إنسانية" فقط، مجردة من أي بعد سياسي.

ووفقا لما سبق، فيمكن القول: إنّ ممارسات الإماتة هي سياسة تسعى لفرض سلطة الاستعمار على المعنى الوظيفي للموت الاستشهادي والدور/ الفاعلية السياسية والاجتماعية له، وعلى الشهيد بوصفه فاعلا ثوريا ورمزية للمقاومة، وعلى وظيفته الجمعية في السياق الاستعماري، عبر محو البناء الرمزي الذي يمثله جسد الشهيد والمضامين السوسيوثقافية الفلسطينية فيه/التعاطي الاجتماعي معه؛ لتحويله من أداة مقاومة إلى أداة ضبط للجماعة الفلسطينية (من موقع المقاومة إلى موقع

الاحتواء) بما يتجاوز حدود فرديّة الجسد، ويطال كل الجماعة الغزّية، عن طريق التشويه المادي للجسد الفلسطيني. فالشهيد المجهول أو الأشلاء الممزقة يصعب أن تُصبح رمزاً للمقاومة، فلا يمكن للناس الالتفاف حولها والارتباط بها عاطفياً أو سياسياً، فتشتت الأشلاء يُفقد المجتمع القدرة على التماسك حول جثمان الشهيد، فتُصبح كل "جزء" من الجسد مجرد دليل على العنف والدمار، دون أن يحمل رمزية واضحة للنضال والمقاومة، كما أنّ هذه الأشلاء تجعل من الصعب التعرف إلى هوية الشهيد، فبدلاً من أن يكون الجثمان كتلة مادية تحمل هوية وشخصية، يُصبح مجرد أجزاء متناثرة تُصعّب عملية تحديد الهوية؛ ما يعني فقدان القدرة على استخدام الشهداء رموز تعبئة جماهيرية، ويجعل من الصعب استخدام موتهم أداةً لتحفيز المقاومة، وهو ما يجعل الموت يفقد قيمته الرمزية النضالية، ويُبقيه في نطاق الفقد الشخصي والعجز الجماعي، ويجعل الجثامين تفقد قيمتها بوصفها رموز مقاومة، وتبقى مجرد أدوات في يد السلطة، تُستخدم لتحقيق أهداف سياسية وأمنية.

وعليه، تسهم سياسات التشويه في تحويل الموت إلى "موت بلا معنى" وحالة من اللاجدوى؛ ليصبح مجرد "موت فيزيائي"، حيث يُفقد الموت الاستشهادي وظيفته الرمزية في سرديات المقاومة وفقا لما يحمله من دلالات ثقافية وسياسية، وقيمة اجتماعية ؛ لأن تشويه الأجساد يُعطل الرموز الثقافية والاجتماعية المرتبطة بالجسد، ما يؤدي إلى زعزعة البناء الاجتماعي الفلسطيني وتفكيك الروابط بين الفرد ومجتمعه المستعمَر، كاستراتيجية لإعادة تشكيل مكانته الاجتماعية وتقويض هويته النضالية؛ تحقيقًا لتشكيل صياغة استعمارية جديدة للمعاني الرمزية والاجتماعية الوطنية وحتّى السياسية منها، المرتبطة بالمقاومة والاستشهاد، من خلال فصلها عن السياق الجمعي الذي يضفي عليها الجدوى والمعنى لتحويلها إلى أدوات قمع؛ ذلك لأن "إرادة الخيار الجماعية التي تقف في أساس منظومة الشهيد بحد ذاتها تنفي رمزيًا سلطة النظام الاستعماري على إدارة شؤون الموت الجماعي الفلسطيني" (الناشف،2015: 86).

5. ثالثاً: مرحلة ما بعد القتل (التعطيل والحرمان)

تستمر إسرائيل في استهداف جسد المستعمَر في سياق خلقها وإدارتها لبنية الإماتة في قطاع غزّة إلى ما بعد مرحلة القتل؛ فتستخدم سياسات في التعامل مع جثامين الفلسطينيين، يمتد تأثيرها ليشمل العائلات والمجتمع الفلسطيني عامةً، والتي يمكن فهمها في سياق أوسع لسياسات الحاكمية الاستعمارية عبر تسييس الجسد الميت، فتفرض سيادتها على الجثامين التي تحولها إلى أدوات هيمنة للسلطة الاستعمارية، وبما يهدف إلى تحقيق مجموعة من الأهداف السياسية والأمنية والنفسية. فلا يُعدّ القتل نهاية الفعل السياسي الإسرائيلي، بل يُستخدم الموت لتوجيه رسائل سياسية استعمارية. وعليه يناقش هذا المحور الممارسات الإسرائيلية التي تُجسد قدرة الاستعمار على التحكم بالجسد الفلسطيني حتى بعد الموت، حيث يتحول كل من فعل الموت الفلسطيني والجثامين إلى ساحة أخرى للصراع والسلطة، يتم فيها استخدام الموت أداة لردع المجتمع الفلسطيني وإخضاعه وترسيخ الهيمنة الإسرائيلية؛ السياسية والاجتماعية.

وذلك بفعل التحكم في مصيرهم حتى بعد موتهم من خلال ممارسات تتجاوز البعد المادي للعنف وهدف تدمير الأفراد وإفقادهم وجودهم المادي، ليس ذلك فحسب، بل تتجاوز ذلك لتطال الروابط الاجتماعية والعائلية، والذاكرة الجماعية، والكرامة الإنسانية، والرموز الثقافية والدينية، وتحوّل الموت إلى عملية تنطوي على مزيد من الإذلال والإخضاع للأحياء، وشكل من أشكال العقاب الجماعي، ما يعكس منطقاً استعمارياً يرى الأجساد (حتى بعد الموت) موارد يمكن استغلالها لخدمة أهداف السلطة.

ذلك ما سيعكس-تاليًا- منطقًا استثنائيا يستمر حتّى ما بعد حيونة الجسد وإماتته، وبما يتجاوز ما يخلقه من "حياة مجردة" وفقا لوصف أغامبين، والتي ظهرت تجلياتها في المرحلتين السابقتين. فالسيطرة المطلقة لإسرائيل على الجسد الفلسطيني حتّى بعد موته، تتجاوز الحياة البيولوجية إلى التحكم في "الموت المجرد" في هذه المرحلة، تبعًا لممارسة السلطة على الجسد حتى بعد الموت عبر تجريدهم وتجريد مجتمعهم من حقوقهم لما بعد فعل الموت، وتجريد الجثمان من كرامته الإنسانية وسلبه حقه في الدفن، ما يجعل من الجثامين مجرد وسائل وأدوات ضغط سياسية، بدلاً من النظر إليها مسألة إنسانية بحتة. وهو ما يُعدّ جزءًا من بنية الإماتة التي تحول من خلالها إسرائيل (بنية الفقدان) والمشاعر الجمعية المرتبطة بالعنف إلى جانب (بنية الموت) ذاتها بمجالاته الزمانيّة والمكانيّة، إلى مساحات استعمارية للاستهداف وفق الفهم الآتي:

5.1 بين التعطيل والعسكرة: الاستهداف الإسرائيلي لبُنية الفقدان

يرتكز هذا المحور على فهم السيادة الاستعمارية، إلى المشاعر بالتحكم في عملية الحداد وتعطيل طقوس الموت والحزن والوداع، وتأثير ذلك في الشفاء الجمعي والمجتمعي ودوره في تعميق الصدمة النفسية الجماعية. ذلك من خلال ممارسات عسكرة المقابر (بتجريفها وخلق الجماعية منها) والسيطرة على الفضاء الجنائزي التقليدي لتعطيل طقوس الحداد التي تعد جزءًا أساسيا من التعامل مع الفقد، عبر تشويه الجثامين وتحلّلها وسلب قدرة ذويها على توديعها، ونبش القبور والتركيم العمراني فوق الجثامين، إلى جانب مجهوليتها ودفنها وحرمان الأهالي من معرفة أمكنتها، بما يفرض سيطرة مادية ورمزية على فضاء الموت وطقوسه، ويُعدّ نوعًا من العقاب الجماعي لأُسر الضحايا بوصفه حالة من العنف المستمر الذي يؤثر في النسيج الاجتماعي ويخلق آثارا نفسية عميقة (De León, 2015:71)، بتجاوز الموت هذا الفعل المادي نفسه ليصل إلى البنية النفسية والاجتماعية للمجتمع الغزّي. فلا يقتصر العنف الصهيوني الذي يشكل جزءًا من نفس الظاهرة الصهيونية مهما تعددت أشكاله وتجلياته (المسيري،2001: 5) على أدوات الهيمنة المادية؛ فتجمع سياسات الاحتلال ممارسات العنف المباشر

وغير المباشر في إطار عنفها البنيوي، وهو ما يُعزز بنية الإماتة. فيُنظر إلى تلك الممارسات بأنها جزء من استراتيجية تهدف إلى تجريد الشعب من حقوقه الإنسانيّة في حالتيّ الحياة والموت.

في مطلع أغسطس 2024، بثت قناة الجزيرة مقطع فيديو يوثق تسليم قوات الاحتلال عشرات الجثامين لشهداء مجهولي الهوية إلى مستشفى ناصر الطبي بعد أن انتشلتها من غزة واحتجزتها، ويُظهر البث كيف وصلت الجثامين متحلّلة، ويصعب التعرف إليها، وتم دفنها في مقبرة جماعية في خانيونس، كما سبق في أبريل 2024، أن أعلن جهاز الدفاع المدني عن اكتشاف ثلاثة مقابر جماعية في مجمع ناصر الطبي، جرى بعدها انتشال 58 جثمانا جديدا، لم تعرف هوية 58% منها، بسبب تحللها وتنكيل جنود الاحتلال بها وسرقة أعضاء بعضِها (ألترا صوت، 2024/4/26). وفي هذه الحادثة، توثق الشهادات الشخصية والميدانية (المادة1، الملحق3) تجاوز فعل الممارسات العنيفة الموت المادي لتشمل العنف الرمزي بالحرمان من الوداع والدفن الرسمي، ذلك في تدليل على أهمية تعرف الأهالي إلى جثامين أبنائهم تبعاً لأهمية شعورهم في (يقينيّة) موتهم وضرورة التأكد من إكرامهم بالدفن اللائق لضرورته النفسية للمحيط الاجتماعي للشهيد. فإبقاء العائلات في حالة انتظار وعدم يقين من معرفة مصير أبنائهم أو مكان دفنهم، يؤدي إلى تفاقم الشعور بالفقدان واستمرار المعاناة، وعدم القدرة على إغلاق دائرة الحزن.

كما تتمثل صور الهيمنة النفسية بإخضاع العواطف النفسية إلى حزن مفتوح ومستمر في ممارسات انتهاك الجثامين بعد دفن العائلات لها، عبر نبش القبور وممارسات سرقة الجثامين؛ فتعكس شهادات الأهالي (المادة 2 و3، ملحق3) كيف يعمل الاحتلال على إعادة إنتاج مشاعر الحزن ومرحلة الحداد، بالسيطرة على "الذاكرة المادية" وتحويل الجثمان لأداة هيمنة حتى بعد الموت، ما يعكس مركزية المكان (القبر ميدان للبحث الرمزي عن المعنى وليس مجرد موقع دفن) في سياسات ما بعد القتل.

يضاف إلى ذلك، حالة تركيم العمران فوق الجثامين، الذي يعطّل عملية الوداع ويمنع مرحلة الدفن، في صورة تؤسس لعلاقة بين الجسد الميت والبنية المدمرة، لتعكس محاولةَ المستعمِر لإلغاء وجود الجسد من خلال تدمير البيئة الحاضنة له والمتفاعلة معه (المادة4، ملحق3)؛ فسلب القدرة على الدفن جزء من سياسة أوسع، تهدف إلى إلحاق الأذى النفسي والاجتماعي بالمجتمع الفلسطيني من خلال تعطيل التعافي والتماسك أمام تلك الاستهدافات، في محاولةٍ لتدمير بنية الحزن والحداد والكرامة الإنسانية، بما يؤدي إلى تعقيد عملية الشفاء والتأقلم مع الفقدان لتعزيز الشعور بالانهيار الجماعي، ويُبقي المجتمع في حالة من الحداد المعلّق بفعل (تجميد الزمان وحصار المكان) لتعطيل حركة الزمن الطبيعي للحداد والشفاء، وحصار عملية الدفن أو انتهاك مكانها. و"يمثل الحداد في الثقافة الفلسطينية أكثر من مجرد استجابة نفسية للفقدان؛ فممارسات الحداد ليست مجرد عملية فردية بل هي نشاط جماعي وجزء من النسيج الثقافي والاجتماعي الفلسطيني، تتيح للمجتمع تجاوز الصدمة عبر التواصل العاطفي والتضامن الاجتماعي والدعم النفسي بوصفها وظائف اجتماعية للحداد"(بديوي، 2025/2/26)، الذي تشكل ممارساته ـ أيضًا ـ عملية رمزية تحول الأفراد من "ضحايا" إلى "شهداء" ذوي دلالات سياسية وتضحوية، ما يجعل استهدافها محاولة لإسكات الرواية الفلسطينية وقمع رموز الهوية الوطنية (بديوي،2025)؛ فلا ينظر الاحتلال الإسرائيلي إلى الجسد الفلسطيني بوصفه إنسانا بل رمزا سياسيا؛ لأنّ "جسد الفلسطينيّ/ة كان دوماً محلّاً لصوغ علاقات السيادة والانتفاض عليها، لا موقعاً لعلاقات السيادة-العبوديّة كما أُدعي غير مرّة" (ظاهر-الناشف،2019: 80).

وبهذا تلعب "حالة الاستثناء" التي فرضتها إسرائيل في القطاع وعليه، دورًا في حرمان المجتمع من تنظيم جنازات وإتمام الدفن وممارسة حقه في الحداد، سواء بسبب طبيعة الممارسات والاستهدافات المباشرة وغير المباشرة للجثامين، أو بسبب الحصار والقيود المفروضة على الحركة والتجمع. فمن جهة، يؤدي تحلل الجثامين إلى إضعاف الارتباط العاطفي بين العائلات، فهم يفقدون القدرة على إقامة طقوس الحداد المناسبة، ما يعمّق الجرح النفسي ويُبقيهم في حالة من الألم والشعور بالعجز، كما أنّه يُحوّل الجثمان من كيان يحمل هوية إلى مجرد بقايا مادية لا تحمل أية رمزية تُذكر. ومن جهة أخرى؛ يؤدي منع عملية الدفن أو إعاقتها إلى قمع العواطف الجماعية وتحويل الحداد إلى حالة فردية ومكبوتة، وإلغاء الطابع الجماعي لممارسة الحداد الفلسطيني، وحرمان المجتمع من ممارسة طقوسه الثقافية والدينية والوطنية. فمنع الطقوس الجنائزية هو استراتيجية تهدف إلى تعطيل عملية الحداد الجمعي الفلسطيني وفصل الموت عن رمزيته الثقافية، لتحويل الحزن إلى أدوات قهر فردية ومعزولة.

5.2 استهداف بنية الموت وزمكانيّته

تتمثل السيادة الاستعمارية على بُنية الموت بمحاولات تعطيل دورته الزمانية ومحو دورته الثقافية والرمزية، إلى جانب إدارة مجالاته/حيزاته الزمكانيّة، وهو ما يتشابك في إحدى أبعاده مع المحور السابق وفيه ـ هنا ـ محاولة تحليل كيف دُمِجت أمكنة الموت بكلِّ أحياز الحياة ومرافقها وفُرضت السيادة على مثوى الجسد ومكان الدفن وعلى المقابر؛ لفهم دور ذلك في ترسيخ ذاكرة الموت وأمكنته في فضاءات الحياة التي ـ بدورها ـ ستبقَى تُعيد إنتاج ذاكرة الحرب.

5.2.1 تعطيل المسار الخطي للموت ودورته الدائرية

يعرف الموت بأنه نهاية المسار الحياتي للفرد الذي يبدأ بالولادة وينتهي بالوفاة بشكل عبور خطيّ، ويكون الدفن هو المرحلة الأخيرة من هذا المسار الذي يُعدّ التعامل مع الجثمان بطقوس الجنازة فيه جزءا من خطيّة العبور. لكن توصلت "سهاد الناشف" في دراسة أجرتها حول سياسة إسرائيل في اعتقال الجثامين إلى (لولبية/دائرية) طقوس هذا العبور في السياق

الفلسطيني وليس خطيته، بالاعتماد على تحليل هذه السياسة التي يعلّق فيها الموت بحرمان الجثامين من الدفن عبر وضعهم بثلاجات الموتى (Suhad Daher-Nashif,2020)، أو في منع عائلاتهم من دفنهم وفقا للطقوس الجنائزية التي تعيد تعريف جثمان الشهيد بوصفه رمز مقاومة من خلال دفنه بمقابر الأرقام التي تسلبه هويته بوصفه فاعلا اجتماعيا وسياسيا في فعل المقاومة وتمثلاته. وذلك على الاعتقاد بأن المجتمع يرغب في استعادة الجثمان من إسرائيل ليقوم هو باحتوائه ضمن سيرورة الاحتواء الاجتماعية للموت، وفي الطقوس التي تليق به؛ ليقوم جسد الشهيد بدور السياسي والاجتماعي (ظاهر-الناشف،2016: 30). بينما في العدوان الحالي على قطاع غزّة، يمكن أن نرى كيف أن إسرائيل تعطّل المجال الزمني للموت سواء أكان مسارا خطيا أم دورة دائرية. فإذا عددنا الدفن هو المرحلة الأخيرة في المسار الخطّي، فسنرى أن إسرائيل تحرم الجثمان من هذا المسار الطبيعي، وإذا عددناه طقسا لمرحلة انتقالية على شكل عبور دائري، يعيد دمج الفرد في النسيج الاجتماعي للحياة، أو يبعثه رمزيّاً من خلال الرمزية والحفاظ على استمراريته في الذاكرة، أو في الأفعال الكامنة في منظومة الاستشهاد، التي للطقوس الجنائزية الجماهيرية دور مهم فيها، سنلاحظ أن إسرائيل تحرم الجثمان والعائلات من ذلك أيضاً. وفي هذا تؤكد شهادة ميدانية (المادة5، ملحق3) كيف تحول الدفن لفعل فردي معزول، يعكس تفريغ الجنائز من أبعادها المجتمعية والسياسية ليحول الحداد من حدث عام إلى تجربة معاناة ذاتية.

ويتمثل ذلك كلّه في سياسات التحكم في المجالين؛ الزماني والمكان للموت والدفن، وبما يتعدى ممارسات اعتقال الجثامين واحتجازها إلى ما هو مستحدث أكثر في سياق الإبادة الحالية، كسرقة الجثامين من المقابر، ونبش القبور، وتجريف المقابر، وسياسات تركيم العمران فوق الجثامين، وتجميد مرحلة الدفن الاجتماعية أو تعليقها وإعاقتها، أو الحرمان الكلّي منها وفقا لممارسات القتل التي تعمل على تفتيت الجسد أو حرقه وذوبانه أو تبخره واختفائه. هذا التعطيل يؤدي إلى تعليق مؤلم للموت، يؤثر في العائلات التي تظل غير قادرة على تجاوز الفقد، عبر إبقاء الموت مفتوحاً؛ فهذه السياسات تخلق حالة من عدم الإغلاق، بجعل الموت حالة مستمرة وليست نهائية، ويزيد حالة الحزن المجتمعي، ويبقي العائلات في حالة من عدم اليقين والحداد المستمر، إلى جانب القلق الوجودي بوصف الموت حدٍا وجوديّا، وفي التحكم بهذا الحدّ النهائي بعدم دفن الجثمان، أو في انتهاكه بعد الدفن واستهداف بنية الفقدان، تخلق حالة من الوجود المؤقت بتأجيل الموت بوصفه حدثا نهائيا.

ففي المسار الخطي؛ يُفترض أن يُنهي الموت حياة الفرد وينتقل المجتمع إلى حالة الحداد ومن ثم التعافي. ولكن بعرقلة ذلك ومنعه، يتجمد الزمن الاجتماعي وتتعطل عملية الحداد الطبيعي، فلا يستطيع المجتمع تجاوز حالة الفقد والانتقال إلى مرحلة الشفاء، وهو ما "يصبو لفرض السّيادة على كينونة الميّت/ة وعلى كيفيّة حزن العائلة وثكله/ا. أي أن الاستعمار هو السيادة على المشاعر وعلى كيفيّة التّعبير عنها أيضاً"(ظاهر-الناشف،2019: 88). مثلاً؛ عبّرت زوجة الشهيد الطبيب عدنان البرش، الذي استشهد تحت التعذيب في معتقل الاحتلال، عن القلق الوجودي المرتبط بمكان الدفن وضرورة استعادة حق السيادة العائلية على فعل الوداع، ففيها يتجلى غياب الجثمان بوصفه فقدا مزدوجا للجسد ولطقس وداعه، وتحمل الرغبة في استعادة الجثمان أبعادًا تتجاوز الحزن الشخصي إلى المطالبة بحق الدفن.

ومن الأمثلة الأخرى على إعاقة نهائية الموت بوصفه حدّا، وإعادة إدارة علاقة السكان بالموت بفرض السيطرة على طقس الدفن، ما يتجسد في وصف تكرار عملية الدفن بعد نبش القبور أو سرقة الجثامين (المادة7، الملحق3) تعبيرا عن إعادة إنتاج الفقدان بوصفه بنية رسمية، وتحويل طقس الدفن إلى مساحة لإعادة القتل رمزيًا.

وفي الدورة الدائرية؛ يُعدّ الشهداء جزءًا من دورة أو عملية ثقافية-اجتماعية تُعيد إحياء الهوية والمقاومة، لكن منع التشييع والدفن وفقاً للتقاليد الدينية والثقافية، يؤدي إلى قطع الدورة الرمزية التي يستخدمها المجتمع في بناء هويته النضالية وتعزيز قدرته على الصمود؛ بالنظر إلى الشهداء رموزا جماعية للمقاومة والتضحية في الذاكرة الجمعية التي تُغذّي الهوية الفلسطينية. أي أنّ سلطة إسرائيل حتى على "سياق الموت الزماني والمكاني وطقوس الموت وشكله، هو محاولة لتغييب طقوس حالة الشهادة لدى الجماعة الفلسطينية، وانتهاك لكرامة الشهيد وخصوصيته الكامنة في العُرف المجتمعي الذي يرى في حالة الشهادة معنىً للنضال وسببا للمقاومة والرغبة في الانتصار"(بديوي، 2023). ذلك يعني أنّ إسرائيل تتحكم في طريقة تعامل المجتمع مع الموت، وتجعل من الموت نفسه ساحة للصراع، وتستخدم سيطرتها على الجثامين بوصفها أداة للهيمنة والإذلال وإضعاف المجتمع الفلسطيني، وسلب الشهيد قدرته على التأثير في الوعي الجمعي، وللتحكم في الذاكرة الفلسطينية وكيفية تذكّر الشهداء ومحاولات بناء هوية سياسية جامعة. وعليه تُظهر هذه الممارسات كيف أن الموت، بوصفه فعلا استعماريا، لا يُعدّ نهاية، بل هو استمرار للصراع بوسائل أخرى، كما يمثل سياسة قمع وسلطة مزدوجة، تستهدف حياة كل من الفرد وجماعته ومجتمعه.

5.2.2 الدفن العشوائي: تحويل فضاءات الحياة (العامة) إلى مساحات موت (مقابر)

لم تقتصر ممارسة إسرائيل سيطرتها على المجالات المكانية للموت من خلال تحويل أماكن الحياة اليومية إلى أماكن للموت، بقصف المنازل، والمدارس، والمستشفيات، والأسواق والملاجئ، وغيرها من المساحات التي يفترض أن تشكّل أماكن وملاذات آمنة، وهذا ما يمكن دراسته وفقا لدراسات المكان. بينما في سياق البحث الحالي، يمكن ربط تحويل أماكن الحياة إلى أماكن للموت بممارسات الدفن العشوائي والمقابر الجماعية، ليصبح الموت ذاته جزءًا من استراتيجية أوسع لإعادة تشكيل الفضاءات المعيشية؛ فتشكّل حالة الاضطرار إلى إنتاج القبور العشوائية؛ الفردية والجماعية، نتيجة تقييد الوصول إلى المقابر العامة بسبب القصف الكثيف واستهداف المشيعين أو نتيجة تجريف القبور وسرقة الجثامين أو بعثرتها، مع اضطرار الناس إلى دفن موتاهم بسرعة وإكرامهم، بُعدًا إضافيًا للسيطرة على الجسد الفلسطيني بعد قتله بالتحكم في كيفية دفنه ومكان

دفنه وحيزه الخاص في ما هو متعارف عليه اجتماعيًا وثقافيا ودينيًا، عبر تحويل الفضاءات المعيشية إلى مقابر،"فلقد زحفت مجالات الموت المقدّسة التي يفترض بها الانزواء في هوامش المدن ومناطقها الحديّة، باتجاه المركز لتقتحم عصب الحياة وتجعل منه مجالًا مزدوجًا لنشر معاني الحياة والموت في آنٍ واحد" (عروبة عثمان، 2024/4/24)، وتحويل أي مساحة إلى موقع للعنف والموت.

في بداية العدوان مثلاً، جرى دفن 179 جثة في قبر جماعي في ساحة مجمع الشفاء الطبي، وكان من بينها سبع جثث أطفال خدّج، توفوا من جراء انقطاع الكهرباء، واضطرت إدارة المستشفى إلى فعل ذلك بسبب بدء تحلل الجثث نتيجة حصار جيش الاحتلال للمجمع الطبي بشكل كامل، وذكر فراس عبد الله للعربي الجديد كيف قام بدفن شقيقه وطفله في أحد الشوارع الفرعية نتيجة الحصار المفروض على مخيم جباليا، وهو ما جعل الصحافي أنس الشريف يضطر إلى "دفن جثمان والده داخل باحة إحدى المدارس؛ كون الاحتلال يحاصر مخيم جباليا من كل الجهات.. كما دفن العشرات من المحاصرين في الشمال ومدينة غزّة جثث ذويهم داخل ملاعب المدارس التابعة لوكالة الأونروا والمدارس الحكومية (أمجد ياغي، 2023/12/12). يقول إسماعيل الخضري إنه كان، كغيره من الغزيين، عاجزاً عن الوصول إلى أي من المقابر في مدينة غزة، وإنه دفن والدته وثلاثة من أفراد عائلته داخل إحدى المدارس بوسط مدينة غزة " (ياغي، 2023). كما يذكر أحمد الحداد أنه دفن عددا من أصدقائه وأفرادا من عائلتيّ المدهون وسكر في شوارع مخيم جباليا وشوارع مطلة على منطقة مشروع بيت لاهيا، بالقرب من أنقاض المنازل المدمرة. ويضيف:

"قمنا بدفن الكثير من الأشلاء البشرية، وكتبنا على القبور أسماء العائلات والأشخاص الذين تمكنّا من التعرف إليهم، أو عبر أقاربهم الذين تعرفوا إلى أشلاء الأجساد الواضحة. كان البعض يحضرون الرمل من خارج المخيم لاستخدامه في الدفن، فغالبية أراضي المخيم إسفلتت." (ياغي،2023)

يعكس تحويل أمكنة الحياة إلى أمكنة للموت والدفن، تغيّرًا جذريًا في طبيعة الأماكن التي كانت في الأصل فضاءات معيشية، لتصبح فضاءات يُمارَس فيها الموت والعنف. هذا التحول يتجاوز الجانب المادي ليشمل الأبعاد الرمزية والنفسية والاجتماعية، ما يُعيد تشكيل إدراك الناس لهذه الأماكن بفعل تعطيل دور هذه الفضاءات ومحو معانيها واختراقها وتدمير رمزيتها، بعد إعادة تعريفها من فضاءات اجتماعية وحياتية إلى رموز قمع وعنف وسيطرة، لإعادة تشكيل المعاني الاجتماعية والثقافية المرتبطة فيها وفرض معانٍ جديدة عليها، فيُصبح الحيز الحياتي مكاناً للرعب وشاهدًا على الموت بدلاً من أن يكون مكانًا للأمان والحياة. أو بأقل تقدير يُصبح هناك تداخل بين الحياة والموت بتحويلها إلى فضاءات مشتركة بينهما. هذا التحول يُغيّر طبيعة الفضاء، ويُحدث شرخاً في الإدراك الجماعي لأماكن كالمدارس، والمستشفيات، والأحياء السكنية، والمنازل، ومراكز الإيواء، والشوارع العامة والمرافق الإنسانية؛ لتُصبح مشبعة بمعاني الموت المجرد، بما يعيد إنتاج ذاكرة الحرب بعد انتهائها ويجذّر بنية الإماتة في القطاع.

إنّ السيطرة على المكان من منطلق السيطرة على الجثامين، هو محاولة لإعادة صياغة المكان بما يتوافق مع الأهداف السياسية والأيديولوجية للاحتلال. وهو ما يمكن مقاربته مع منظور هنري لوفيفر حول "إنتاج الفضاء"(Lefebvre,1991) بوصفها عملية تعيد السلطة من خلالها تشكيل المكان بما يتناسب مع رؤيتها ومصالحها، وتستخدمه أداة للسيطرة والتحكم. فإلى جانب انتهاك الحيز الخاص والفضاءات الحياتية ومجال دفن الجثمان، فإنّ إسرائيل تهدف بذلك إلى إنتاج حالة تطبيع الموت. أي جعله عاديًا ومتوقعًا ومُدمجًا في الحياة اليومية بشكلٍ مستمر ومتواتر، ما يفقد الناس الحساسية تجاه الموت بوصفه ظاهرة، ويُفقده أي دلالة استثنائية أو رمزية عبر التعايش معه في مختلف المساحات، كما أن اعتياد رؤية الجثامين والقبور يؤدي إلى تقويضه، أو نفي القيمة الإنسانية والمادية للضحايا والجثامين والتفاعل معها بشكل عاطفي بالزخم ذاته مع حالة الموت العادي(الفردي) وليس المجتمعي. وذلك يُسهم في تطبيع فكرة الموت بوصفها نهاية مادية فقط، ويُفقد المجتمع القدرة على التعامل معه بشكل طبيعي-تقليدي وإنساني؛ ما يؤدي إلى تجريد الموت من معناه الروحي والاجتماعي، كما يُفقد الموتى طقوسهم التقليدية. ليُصبح الدفن مجرد إجراء لضرورة التخلص من الجثامين دون مراعاة للطقوس والرموز المرتبطة بالموت والموتى.

6. الخاتمة

تكشف هذه الدراسة ـ من خلال تحليل بنية الإماتة ـ أن إسرائيل تمارس القتل في سياق حرب الإبادة في غزّة، بوصفه بنية سيادة مستدامة، تُنتج الفلسطيني بوصفه جسدا مستباحا و"حياة عارية" (bare life) كما يصوغها أغامبين، ليصبح جسده في هذا السياق موضوعًا للسياسات النيكروبوليتية، وفقًا لما يطرحه مبيمبي. ولا تُختزل الإماتة في فعل القتل بوصفه نهاية للفعل الاستعماري على الجسد، بل تُفهم بوصفها ممارسة استعمارية متواصلة تُعيد إنتاج ذاتها عبر استراتيجيات متعدّدة، تُخضع الفلسطينيين أحياءً وأمواتًا لمنطق السيادة المطلقة. فقد أظهرت الدراسة أن بنية الإماتة تتجلى عبر ثلاث لحظات متداخلة ومتراكبة، تُخضع الأجساد الفلسطينية لمنطق السيادة الكلية، من لحظة ما قبل القتل، مرورًا بلحظة الموت، ووصولًا إلى ما بعده.

ففي مرحلة ما قبل القتل، تتجسّد البنية التحتية للإماتة من خلال مأسسة بيئة مادية وسياسية تهيئ القابلية للقتل وتشرعنه. أما القتل ذاته، فلا يُمثّل ذروة السيادة على الجسد فقط، بل يؤسس لإعادة تشكيل رمزية الموت الفلسطيني، وقولبته ضمن سردية استعمارية تُفرغ الاستشهاد من مضامينه السياسية والاجتماعية والثقافية. وفيما بعد القتل، تمتد السياسات السيادة

النيكروبوليتيكية إلى ما هو أبعد من الجسد الحي، لتطال الجثمان، والطقوس والمشاعر، والذاكرة الجمعية، عبر تحويل الجسد الميت إلى وسيط للسيطرة على الحي. ويبين البحث كيف تعامل إسرائيل الجسد الفلسطيني في غزّة بوصفه موتا يجب إخضاعه، والتمثيل بهيئته، والسيادة على شروط ظهوره في المجال العام. فتتضمن بنية الإماتة ما هو أكثر من مجرد قتل جسديّ، بوصفها عملية شاملة تؤثر في الوجود الفلسطيني بجميع جوانبه. فالتدمير الجسدي يترافق مع هجمات على الهوية والكينونة الجماعية وانتهاكٍ للأنسنة والمشاعر؛ ما ينتج عنه تأثيرات طويلة الأمد في المجتمع وذاكرته وبُنياته المختلفة.

ففي استكشاف المراحل السابقة يمكن فهم كيف تتداخل السياسات الاستعمارية عبر ديناميكيات تشكّل إطارًا مركبًا، يوضح كيف أنّ الجسد الفلسطيني مبرمج لقتله استعمارياً، وأنّ كل جانب من جوانب العنف الممارس عليه ليس منفصلاً عن الآخر، بل يندمج في نظام استعماري متكامل، يعمل على تجريد الفلسطينيين من إنسانيتهم وحقوقهم في الحياة والموت. ذلك ما يتبيّن من الترابط الديناميكي للمراحل السابقة في تأثيرها في بعضها البعض، أو تشكيل كلٍ منهما للأخرى بما يعكس الطابع المستمر لدورة العنف على الأجساد الفلسطينية، الذي لا ينتهي عند أيٍّ من المراحل التي تتداخل في بنية الإماتة، وتتفاعل ضمنها باستمرار، بما يخضع حتى الموتى لمنطق السيادة.

من هذا المنظور، تُكمن أهمية هذه الدراسة في كشفها عن البنية المتكاملة للعنف الاستعماري، وتقديمها قراءة سوسيولوجية نقدية، تُمكّن من تفكيك العلاقة بين الاستعمار الإسرائيلي والسيطرة على الأجساد والجثامين، وتُظهر أن القتل في السياق الفلسطيني لا يُنهي الفعل الاستعماري على الأجساد، بل يدشّن مرحلة أخرى منه، تستهدف الموتى من جهة، وبنية الجماعة وعلاقتها بذاكرتها وموتاها من جهة أخرى. وبالتالي، يصبح الجسد الفلسطيني في ضوء ما سبق، حقلا سياسيا يتداخل فيه العنف المادي مع العنف الرمزي، وتتفاعل فيه السيادة الحيوية مع السيادة النيكروية، في عملية مستمرة من نزع الإنسانية وإعادة إنتاج القتل بوصفه أفقًا وجوديًا للفلسطينيين في غزّة التي تحولت لمنطق استثنائيّ دائم.

7. المصادر والمراجع

7.1 المراجع العربية

أغامبين، جورجيو. (2015). حالة الاستثناء: الإنسان الحرام 2-1 (ناصر إسماعيل، ترجمة). القاهرة: مدارات للأبحاث والنشر.

ألترا صوت. (2024، 26 أبريل). مقابر جماعية وسرقة أعضاء.. جرائم متعددة للجيش الإسرائيلي في خانيونس. تم الاسترجاع في 7 نوفمبر 2024، من https://www.ultrasawt.com/...

بديوي، إيمان. (2023، 12 يناير). احتجاز جثامين الشهداء... سلطة الاستعمار على الموت الفلسطينيّ. فسحة ثقافية-فلسطينية، عرب48. تم الاسترجاع في 11 نوفمبر 2024، من https://www.arab48.com/...

بديوي، إيمان. (2025، 26 فبراير). حصار الفقدان واستهدافه.. عن الحزن والحداد في سياق الإبادة الإسرائيلية. منصة إطار. تم الاسترجاع في 26 فبراير 2025، من https://etar.info/lRl

الجزيرة نت. (2024، 18 أغسطس). الدفاع المدني بغزة: جثث 1760 شهيدًا تبخرت بسبب الأسلحة المحرمة دوليًا. الجزيرة نت. تم الاسترجاع في 7 نوفمبر 2024، من https://www.aljazeera.net/...

شطارة، عامر، ودعاء نصار. (2022). مفهوم السياسات الحيوية بين ميشيل فوكو وجورجيو أغامبين. *مجلة تبين*، (40)، 93-114.

شلنج، كرس. (2009). الجسد والنظرية الاجتماعية (منى البحر، ونجيب الحصادي، ترجمة). الإسكندرية: دار العين للنشر.

ظاهر ناشف، سهاد. (2016). الاعتقال الإداريّ للجثامين الفلسطينيّة: تعليق الموت وتجميده. *مجلة الدراسات الفلسطينية*، (107)، 19-36.

ظاهر ناشف، سهاد. (2019). إمّا مقاومًا وإمّا مقتولًا: الانتفاضة الفلسطينية الأولى كنقطة تحوّل في إعادة صياغة وكالة جسد وروح الفلسطيني/ة. *إضافات*، (46)، 75-94.

ظاهر ناشف، سهاد، ونادرة شلهوب-كيفوركيان. (2015). الرغبات الجنسية في آلة الاستعمار الإسرائيلية الاستيطانية. *مجلة الدراسات الفلسطينية*، (104)، 131-147.

عثمان، عروبة. (2024، 28 أبريل). غزّة: تحوّلات بنية الموت في زمن الإبادة. حبر. تم الاسترجاع في 14 نوفمبر 2024، من https://www.7iber.com/...

ناشف، إسماعيل. (2015). صور موت الفلسطيني. الدوحة؛ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

ياغي، أمجد. (2023، 12 ديسمبر). غزة مقبرة جماعية... علامات لتمييز آلاف المدافن العشوائية. العربي الجديد. تم الاسترجاع في 7 نوفمبر 2024، من https://www.alaraby.co.uk/...

7.2 رومنة المراجع العربية

Agamben, G. (2015). State of Exception (N. Ismail, Trans.) (in Arabic). Cairo: Madarat for Research and Publishing.

Aljazeera.net. (2024, August 18). Gaza Civil Defense: Bodies of 1760 martyrs have evaporated due to internationally banned weapons (in Arabic). Aljazeera.net. Retrieved November 7, 2024, from https://www.aljazeera.net/news/2024/8/18/الدفاع-المدني-بغزة-جثث-1760-شهيدا-تبخرت

Bdaiwi, E. (2023, January 12). The withholding of martyr bodies... The colonial power over Palestinian death (in Arabic). Fasaha Thaqafiyya – Palestine, Arab48. Retrieved November 11, 2024, from https://www.arab48.com/فلسطينيات

Bdaiwi, E. (2025, February 26). The siege and targeting of grief... On mourning under Israeli genocide (in Arabic). Etar Platform. Retrieved February 26, 2025, from https://etar.info/lRl

Daher-Nashif, S. (2016). The administrative detention of Palestinian corpses: The suspension and freezing of death (in Arabic). Journal of Palestine Studies, (107), 19–36.

Daher-Nashif, S. (2019). Either a resistor or killed: The First Palestinian Intifada as a turning point in the reconfiguration of the agency of the Palestinian body and soul (in Arabic). Idafat: The Arab Journal of Sociology, (46), 75–94.

Daher-Nashif, S., & Shalhoub-Kevorkian, N. (2015). Sexual desires in the Israeli colonial apparatus (in Arabic). Journal of Palestine Studies, 26(104), 131–147.

Nashef, I. (2015). Images of the Palestinian death (in Arabic). Doha; Beirut: Arab Center for Research and Policy Studies.

Osman, O. (2024, April 28). Gaza: Transformations in the structure of death in the time of genocide (in Arabic). 7iber. Retrieved November 14, 2024, from https://www.7iber.com/society/غزة-وتحولات-بنية-الموت/

Shatara, A., & Nassar, D. (2022). The concept of biopolitics between Michel Foucault and Giorgio Agamben (in Arabic). Tabayyun: Journal of Philosophical Studies and Critical Theories, 10(40), 93–114.

Shilling, C. (2009). The Body and Social Theory (M. Al Bahr & N. Al Hussadi, Trans.) (in Arabic). Alexandria: Dar Al Ain Publishing; Abu Dhabi: Kalima.

Ultrasawt. (2024, April 26). Mass graves and organ theft... Multiple crimes by the Israeli army in Khan Younis (in Arabic). Retrieved November 7, 2024, from https://www.ultrasawt.com/...

Yaghi, A. (2023, December 12). Gaza is a mass grave... Signs marking thousands of random burials (in Arabic). The New Arab. Retrieved November 7, 2024, from https://www.alaraby.co.uk/society/غزة-مقبرة-جماعية-علامات-لتمييز-آلاف-المدافن-العشوائية

7.3 المراجع الأجنبية

Agamben, G. (1998). Homo sacer: Sovereign power and bare life (D. Heller-Roazen, Trans.). Stanford University Press.

Daher Nashif, S. (2020). Colonial management of death: To be or not to be dead in Palestine. Current Sociology, 69(7), 945–962. https://doi.org/10.1177/0011392120948923

De León, J. (2015). The land of open graves: Living and dying on the migrant trail. University of California Press.

Foucault, M. (1984). The history of sexuality (Vol. 1: An introduction) (R. Hurley, Trans.). Vintage Books.

Lefebvre, H. (1991). The production of space (D. Nicholson-Smith, Trans.). Blackwell.

Maalej, Z. A., & Zibin, A. (2024). Metaphors they kill by: Dehumanization of Palestinians by Israeli officials and sympathizers. International Journal of Arabic-English Studies, 25(1), 201–220. https://doi.org/10.33806/ijaes.v25i1.693

Mbembe, A. (2003). Necropolitics. Public Culture, 15(1), 11–40.

Mbembe, A. (2019). Necropolitics (S. Corcoran, Trans.). Duke University Press.

McGreal, C. (2023, October 16). The language being used to describe Palestinians is genocidal. The Guardian. Retrieved November 2024, from https://www.theguardian.com/commentisfree/2023/oct/16/the-language-being-used-to-describe-palestinians-is-genocidal

Middle East Eye. (2023, October 17). More than 1,000 children killed in Gaza since start of war. Middle East Eye. Retrieved November 2024, from https://www.middleeasteye.net/news/israel-palestine-more-than-1000-palestinian-children-killed-gaza-airstrikes-ngo-reveals

8. الملاحق

الملحق1: مرحلة ما قبل القتل

رقم المادة	النص الحرفي الكامل	المرجع التوثيقي
1	"نحن نحارب حيوانات بشرية ونتصرف وفقاً	[1] "وزير الدفاع الإسرائيلي: نحارب حيوانات بشرية.. لا كهرباء ولا طعام إلى

	لذلك"	قطاع غزة" (فيديو)، *RT Arabic*، 2023/10/9، شوهد في2024/11/3، في: https://arabic.rt.com/world/1501965-%D9%88%D8%B2%D9%8A%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%81%D8%A7%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84%D9%8A-%D9%86%D8%AD%D8%A7%D8%B1%D8%A8-%D8%AD%D9%8A%D9%88%D8%A7%D9%86%D8%A7%D8%AA-%D8%A8%D8%B4%D8%B1%D9%8A%D8%A9-/%D9%81%D9%8A%D8%AF%D9%8A%D9%88
2	"الجنود الإسرائيليون مستعدون لهزيمة الوحوش المتعطشة للدماء"	" رئيس الوزراء يلتقي عائلات الإسرائيليين المختطفين في غزة ويتعهد بإعطاء الأولوية لعودتهم"، *Times of Israel*، 2023/10/15، شوهد في 2024/11/3، في: https://ar.timesofisrael.com/%D8%B1%D8%A6%D9%8A%D8%B3-%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%B2%D8%B1%D8%A7%D8%A1-%D9%8A%D9%84%D8%AA%D9%82%D9%8A-%D8%B9%D8%A7%D8%A6%D9%84%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84%D9%8A/
3	"نحن نواجه وحوشًا، .. هذه ليست فقط معركة إسرائيل ضد هؤلاء البرابرة، بل معركة الحضارة ضد الهمجية".	Benjamin Netanyahu,“To our Christian friends around the world, Merry Christmas. Christmas is supposed to be a time of good will to all men and peace on Earth. Well, we don‘t have peace on Earth, not in our part anyway, and we certainly don‘t see good will to all men. We‘re facing monsters,… https://t.co/NleTWVybSb” / X (twitter.com)
4	"في الواقع، هذه الحيوانات الفظيعة والمجردة من الإنسانية، ارتكبت أسوأ الفظائع التي شهدها عصرنا"	مندوب إسرائيل السابق لدى الأمم المتحدة عن الشعب الفلسطيني: "حيوانات مجردة من الإنسانية"، 2023/10/27، شوهد في2024/11/3، في: https://arabic.rt.com/world/1507342-%D9%85%D9%86%D8%AF%D9%88%D8%A8-%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%A7%D8%A8%D9%82-%D9%84%D8%AF%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AA%D8%AD%D8%AF%D8%A9-%D8%B9%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B9%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86%D9%8A-%D8%AD%D9%8A%D9%88%D8%A7%D9%86%D8%A7%D8%AA-%D9%85%D8%AC%D8%B1%D8%AF%D8%A9-%D9%85%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%86%D8%B3%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A9/
5	"غزة وسكانها يجب أن يُحرقوا"	نيسيم فاتوري (نائب رئيس الكنيست)، تصريح في يناير 2024، *Al Jazeera*، Al Jazeera ، تاريخ الاطلاع: 2024/11/4
6	"حاليًا، هدف واحد: نكبة! نكبة ستطغى على نكبة 48"	أريئيل كالنر (عضو الكنيست)، تصريح في أكتوبر 2023، PBS News Hour، PBS NewsHour ، تاريخ الاطلاع: 2024/11/4
7	"الأطفال في غزة جلبوا ذلك على أنفسهم".	"Israel-Palestine: More than 1,000 Palestinian children killed in Gaza air strikes, NGO reveals", *Middle East Eye*, 17 Oct 2023, 3 Nov 2024,on: Middle East Eye
8	"عندما يقول كبار القادة في إسرائيل: إما نحن	"الجنرال الإسرائيلي غيورا آيلاند: الكارثة الإنسانية والأوبئة ستكسبنا الحرب في

	وإما هم. فمن الصحيح توضيح مسألة من "هم". هم ليسوا العناصر الذين يحملون الأسلحة، بل أيضًا المدنيين جميعهم، بما في ذلك مديرو المستشفيات والمدارس وجميع سكان غزة"	غزة"، *الترا فلسطين*،2023/11/21، شوهد في: 2024/11/4، في: https://ultrapal.ultrasawt.com/%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%86%D8%B1%D8%A7%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84%D9%8A-%D8%BA%D9%8A%D9%88%D8%B1%D8%A7-%D8%A2%D9%8A%D9%84%D8%A7%D9%86%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%A7%D8%B1%D8%AB%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%86%D8%B3%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D8%A8%D8%A6%D8%A9-%D8%B3%D8%AA%D9%83%D8%B3%D8%A8%D9%86%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B1%D8%A8-%D9%81%D9%8A-%D8%BA%D8%B2%D8%A9/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B1%D8%A7-%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86/%D8%B1%D8%A7%D8%B5%D8%AF
9	"الوحوش ذات الوجه البشري"، "الصراصير المخدرة في زجاجة"، "هم ليسوا بشرا، هم حيوانات"	New deputy defense minister called Tamar Pileggi, Palestinians 'animals', The Times of Israel, 11/5/2015, 4/11/2024,on: https://www.timesofisrael.com/new-deputy-defense-minister-called-palestinians-animals/

الملحق2: مرحلة القتل

رقم المادة	النص الحرفي الكامل	المرجع التوثيقي
1	"وجد من هؤلاء الشهداء من تم إعدامه بشكل مباشر، ومنهم من تم قطع رأسه، ومنهم من تم بتر أطرافه العلوية أو السفلية أو بقر باطنه. بالتالي ما وجدته الطواقم المختصة سواء في الدفاع المدني أو الطواقم الطبية جثث كثيرة بلا رؤوس أو بلا أعضاء أو بلا أطراف"	شهادة د. أشرف القدرة، المتحدث باسم وزارة الصحة في غزة في لقاء على قناة الجزيرة عن مجزرة مجمع ناصر الطبي، 22 إبريل 2024
2	"كل الجثامين غريبة، لم نعهد رؤية هذه المشاهد من قبل، لم نعهد رؤية هذه الأشلاء المقطعة، وهذه الجماجم المُفرّغة، أحيانا تأتي جماجم مُفرغة من الداخل، الرأس مكسور ومفرغ من الداخل تماما، جماجم مهشمة، أطفال مقطوعو الأوصال، ... التقطيع والأثر على الأجساد يختلف تماما عن سابقه، هناك تمزيق شديد وفتك شديد بالأجساد"	ياسر البنا، مُكفّن غزة يروي مشاهد صادمة: أشلاء الأطفال تطارد منامي، الجزيرة، 2024/11/12، شوهد في 2024/11/7، في: https://www.aljazeera.net/politics/2023/11/12/%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%88%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%A7%D8%AD%D8%AF-%D9%84%D8%AB%D9%84%D8%A7%D8%AB%D8%A9-%D8%B4%D9%87%D8%AF%D8%A7%D8%A1-%D9%85%D9%8F%D9%83%D9%81%D9%91%D9%86-%D8%BA%D8%B2%D8%A9
3	"نحتفظ بالجثامين الممزقة بالثلاجات، ونحاول العثور على علامات مميزة فيها مثل لباس معين، أو رمز معين أو ماركة لباس معينة، أسورة مثلا أو معلم في الجسد، وأحيانا يتعرف الأهالي من خلال هذه الإشارات إلى أبنائهم. وفي الغالب لا يتم التعرف إلى هذه الأجساد، ويتم دفنهم في مقابر جماعية للمجهولين"	المرجع أعلاه
4	"أهالي الشهداء الموجودون يتعرفون إلى أبنائهم عن طريق ملابسهم"	جثث مشوهة وأعضاء مسروقة وقبور نبشها الاحتلال ... أهم الحالات التي رصدت في مجزرة مجمع ناصر، trt arabi، 26 إبريل 2024، شوهد في 2024/11/7، في: https://www.instagram.com/trtarabi/reel/C6PF0zzL0M2/
5	"فقدت ابني رامي (5 أعوام) وجدته جثة محروقة	دعاء شاهين،2024، "وجدت ابني محروقاً وعرفته من إصبعه" ... شهادات

	بعد أن استدللت عليه من إصبعه المبتورة بفعل إصابة تعرّض لها في بداية الحرب"	صادمة من مجزرة مواصي خانيونس، رصيف 22، 11سبتمبر، شوهد في 2024/11/7، في:-https://raseef22.net/article/1098344 %D9%88%D8%AC%D8%AF%D8%AA- %D8%A7%D8%A8%D9%86%D9%8A- %D9%85%D8%AD%D8%B1%D9%88%D9%82%D8%A7 - %D9%88%D8%B9%D8%B1%D9%81%D8%AA%D9%87- %D9%85%D9%86- %D8%A5%D8%B5%D8%A8%D8%B9%D9%87- %D8%B4%D9%87%D8%A7%D8%AF%D8%A7%D8%AA- %D8%B5%D8%A7%D8%AF%D9%85%D8%A9- %D9%85%D9%86- %D9%85%D8%AC%D8%B2%D8%B1%D8%A9- %D9%85%D9%88%D8%A7%D8%B5%D9%8A- %D8%AE%D8%A7%D9%86- %D9%8A%D9%88%D9%86%D8%B3
6	"رأينا هياكل عظمية محروقة داخل الشفاء، وغالبية الجثث متحللة"	منصة متراس، رعب الشفاء، 2024/4/1، في: https://www.instagram.com/p/C5NvFFINSNu/?utm_source=ig_web_copy_link&igsh=MzRlODBiNWFlZA
7	"حينما تستهدف الصواريخ الإسرائيلية المنازل ترفع حرارة المنزل المستهدف إلى ألفي درجة مئوية، وقد تصل إلى 3 آلاف، ما يعرض بعض الأجساد في المحيط إلى التبخر نتيجة الحرارة العالية"	أحمد حافظ وياسر البنا، 2024، " أطباء من غزة: أسلحة إسرائيلية غريبة تحول الجثث إلى رماد وتشوي الجلود"،24إبريل، شوهد في2024/11/7، في: https://www.aljazeera.net/news/2024/4/24/%D8%A3%D8%B7%D8%A8%D8%A7%D8%A1-%D9%85%D9%86-%D8%BA%D8%B2%D8%A9-%D8%A3%D8%B3%D9%84%D8%AD%D8%A9-%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84%D9%8A%D8%A9-%D8%BA%D8%B1%D9%8A%D8%A8%D8%A9
8	"بعد استهداف عائلة ما داخل منزلها يتم استخراج عدد من الجثامين ولا يعثر على الباقي ... أنا شخصيًا، تم استهداف منزل عمتي، وحتى الآن لم يعثر على جثماني ابنتها وحفيدها ولا حتى بعض الأشلاء رغم إزالة كل الركام"	الدفاع المدني بغزة: جثث 1760 شهيدا تبخرت بسبب الأسلحة المحرمة، الجزيرة، 2024/8/18، شوهد في 2024/11/7، في: https://www.aljazeera.net/news/2024/8/18/%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%81%D8%A7%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AF%D9%86%D9%8A-%D8%A8%D8%BA%D8%B2%D8%A9-%D8%AC%D8%AB%D8%AB-1760-%D8%B4%D9%87%D9%8A%D8%AF%D8%A7-%D8%AA%D8%A8%D8%AE%D8%B1%D8%AA

الملحق3: مرحلة ما بعد القتل

رقم المادة	النص الحرفي الكامل	المرجع التوثيقي
1	"20 يوما وأنا أدور على قبر أختي حتى لقيناها .. ناس دافنينها وكاتبين مجهول .. ما بقي قبر مجهول إلا ونبشناه .. بدي أختي إيش أعمل ..حُرمة أوك بس بدي أختي، بدي أعرف قبرها وين أقل ما فيها .. طيب اوك ماتت الله يرحمها وهذه الروح لله، لكن بعنيلي روحياً، بعنيني (لحنين) أن تتعافى"	وسيم سالم/ شهادة بودكاست، هكذا قنصوا أخي وتركوه ينزف 3 أيام حتى الموت ثم قتلوا عائلتي، قناة فاهم قصدي، شوهد في 2024/10/3عبر اليوتيوب في: https://youtu.be/zyXcPF_JH7k?si=Zeerz2JZleKfDg24
2	"كأنهم توفوا هلقيت من أول جديد، تجددت المأساة وتجدد الجرح وتجدد الوجع ... لقيت ابني جثته مطلعينها وشايلينها من مكانها بس الحمد لله لقيناهم وإن شاء الله اليوم بندفنهم ونريحهم في مكانهم. يعني لا الطبيبين ولا الميتين مرتاحين منهم"	انظر: https://www.instagram.com/reel/C5TONDFCOWi/?utm_source=ig_web_copy_link&igsh=MzRlODBiNWFlZA
3	"لقيت القبر مفتوحا ولقيت مطاطا وكفوفا لليهود موجودات .. أنا بس بطالب العالم اجمع إنه يجيبوا لنا البنت يحطوا لنا إياها بقبرها عشان نقرأ عليها الفاتحة"	انظر: https://www.instagram.com/reel/C50zAMbsB-1/?utm_source=ig_web_copy_link&igsh=MzRlODBiNWFlZA
4	"لقيت قبرك يا صلاح، لقيت قبرك يا حبيبي يما"	انظر:-https://www.instagram.com/reel/C9UcHT2Kv0/?utm_source=ig_web_copy_link&igsh=MzRlODBiNWFl

		ZA
5	"خُرمنا من الحزن، ومن دفن شهدائنا بطريقة لائقة، إذ نسير عادة وحدنا حاملين جثامين ذوينا إلى الدفن، بينما كان الشهيد قبل العدوان الإسرائيلي الحالي يحصل على تقدير وتكريم وطني، وتشيّعه مسيرة حاشدة تقديراً لتضحيته .. كنت أحمل جثمان شقيقي في انتظار قدوم عربة لنقله، وكانت دموعي تسيل حزناً عليه، وعلى الطريقة التي سيدفن بها، وعندما وصلت إلى مكان الدفن، وجدت رجلاً يدفن طفله الوحيد، وكان مثلي وحيداً من دون أي مشيعين، وشعرت أنه يسقي الرمال التي يدفن فيها ابنه بدموعه"	أمجد ياغي،2024،" شهداء قطاع غزة... جنائز بلا مراسم ولا بيوت عزاء"، العربي الجديد، 25فبراير2024، شوهد في 2024/11/9، من https://www.alaraby.co.uk/society/%D8%B4%D9%87%D8%AF%D8%A7%D8%A1-%D9%82%D8%B7%D8%A7%D8%B9-%D8%BA%D8%B2%D8%A9-%D8%AC%D9%86%D8%A7%D8%A6%D8%B2-%D8%A8%D9%84%D8%A7-%D9%85%D8%B1%D8%A7%D8%B3%D9%85-%D9%88%D9%84%D8%A7-%D8%A8%D9%8A%D9%88%D8%AA-%D8%B9%D8%B2%D8%A7%D8%A1
6	"لحد الآن لم نستلم جثته وأنا أتمنى من الله أنه ما يدفنوه في مقابر الأرقام ولا يسلموه في الجنوب .. يجيبولي إياه هون في الشمال أودعه .. أشوف لحظة استشهاده كيف كان كيف جسمه كيف العذاب اللي كان عليه كيف كان متحمل العذاب .. يا رب يجيني في الشمال وادفنه هون عندي وأزوره كل يوم يا رب"	عربيAJ+ ، 2024/5/5، في: https://www.facebook.com/watch/?v=3925163881039018
7	"الجيش أخذ جثمان ستي وسيدي من مقبرة الفالوجا إبان اجتياح المعسكر .. وعبر الصليب الأحمر اليوم تواصل مع اخوالي لإعادة استلام جثة سيدي وستي الذين استشهدوا ودفنوا في الشمال في شهر 11 العام الماضي لإعادة دفنهم مرة أخي في الجنوب اليوم 2024\8\5 ... أنت بتموتش مرة وبتندفنش مرة وحدة زيك زي الناس. لازم تموت مرتين وتندفن مرتين بغزة"	منصة البلاد،2024/8/6، في:-https://www.instagram.com/p/C V76FHOV2h/?utm_source=ig_web_copy_link&igsh=MzRl ODBiNWFlZA

The Structure of the Israeli Lethality in the Gaza Strip: Analyzing the Practices of Death Engineering and Corpse Management

Eman Bdaiwi
Independent researcher, Master of Sociology, Jordan
Corresponding Author: eman.bdaiwi@gmail.com

Received: 18/6/2025. Revised: 25/6/2025. Accepted: 22/9/2025. DIO:

Abstract

The study aimed to analyze the colonial political instrumentalization of the Israeli practices of death engineering and corpse management through examining visual content and personal testimonies that document the acts of dehumanization, bodily fragmentation, corpse mutilation, looting, vaporization, piling, random burial, placement in mass graves, and other violations. The paper first defined the concept of the "structure of lethality" in the context of colonial sovereignty over the body, followed by three main interconnected sections. The first section addressed the pre-killing phase, where Israel prepared the conditions for lethality through the policies of dehumanization and the destruction of life's prerequisites. The second section examined the killing phase by analyzing the practices that targeted the body through strategies of obliteration and distortion, aiming to reproduce domination and disrupt the "functional meaning" of martyrdom. The third section focused on the post-killing phase, highlighting Israel's control over the body after death by dominating the structures of loss, mourning rituals, and the spatial and temporal dimensions of death.

***Keywords*:** Structure of Lethality, Genocide, Necropolitics, Palestinian Body, Corpses, "Al-Aqsa Flood".